تفسير سورة الاحزاب

تفسير صفوة التفاسير

شيخ محمد علي الصابوني

(1930م –)

33 Tafsir Surah Ahzaab Safwat Tafasir Sabuni

بِسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ

}يَٰأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلاَ تُطِعِ ٱلْكَافِرِينَ وَٱلْمُنَافِقِينَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً { 1*

} وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً { 2*

} وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً { 3*

} مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ ٱللاَّئِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ { 4 *

}ٱدْعُوهُمْ لآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوۤاْ آبَاءَهُمْ فَإِخوَانُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَـٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً{ 5*

} ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُواْ ٱلأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَاجِرِينَ إِلاَّ أَن تَفْعَلُوۤاْ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِكُمْ مَّعْرُوفاً كَانَ ذَلِكَ فِي ٱلْكِتَابِ مَسْطُوراً{ 6*

} وَإِذْ أَخَـذْنَـا مِنَ ٱلنَّبِيِّيْنَ مِيثَـاقَهُمْ وَمِنْـكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقاً غَلِيظاً {7 *

}لِّيَسْـأَلَ ٱلصَّـادِقِينَ عَن صِـدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً { 8*

} يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَـــلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً{ 9*

} إِذْ جَآءُوكُمْ مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْـفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلأَبْصَـارُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَاْ{ 10*

} هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالاً شَدِيداً { 11*

} وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـافِقُونَ وَٱلَّـذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَـا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً { 12 *

}وَإِذْ قَـالَـت طَّـآئِفَـةٌ مِّنْهُمْ يٰأَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَـامَ لَكُمْ فَـٱرْجِعُواْ وَيَسْـــتَئْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَـا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً{ 13*

} وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُــــئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ لآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلاَّ يَسِيراً* { 14

} وَلَقَدْ كَانُواْ عَاهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لاَ يُوَلُّونَ ٱلأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْئُولاً { 15 *

}قُـل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُمْ مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْـلِ وَإِذاً لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً { 16 *

}قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعْصِــمُكُمْ مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُــوۤءاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلاَ يَجِدُونَ لَهُمْ مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً* { 17

}قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَـا وَلاَ يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً { 18 *

}أَشِــــحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أوْلَـــــئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيراً{ 19*

} يَحْسَـبُونَ ٱلأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْ وَإِن يَأْتِ ٱلأَحْزَابُ يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي ٱلأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُواْ فِيكُمْ مَّا قَاتَلُوۤاْ إِلاَّ قَلِيلاً{ 20

اللغَة: { أَدْعِيَآءَكُمْ } جمع دعيّ وهو الولد المتبنَّى من أبناء الغير قال في اللسان: والدَّعيُ: المنسوب إلى غير أبيه، قال الشاعر:

دعيُّ القوم ينصرُ مدَّعيهِ لِيُلْحقه بذي النَّسب الصَّميم

أبي الإسلامُ لا أبَ لي سِواه إذا افتخروا بقيسٍ أو تميم

{ أَقْسَطُ } أعدلُ يقال: أقسطَ الرجلُ إذا عدل، وقسطَ إذا ظلم، والقسطُ: العدلُ.

{ مَسْطُوراً } أي مسطَّراً مكتوباً لا يُمحى.

{ مِيثَاقَهُمْ } الميثاقُ: العهد المؤكد بيمين أو نحوه.

{ ٱلْحَنَاجِرَ } جمع حَنْجرة وهي نهاية الحلقوم مدخل الطعام والشراب.

{ يَثْرِبَ } اسم المدينة المنورة وسمَّاها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة.

{ عَوْرَةٌ } خالية من الرجال غير محصَّنة يقال: دارٌ مُعْورة إذا كان يسهل دخولُها، قال الجوهري: العَوْرة كلُّ خلل يُتخوف منه في ثَغر أو حرب.

{ أَقْطَارِهَا } جمع قُطْر وهو الناحية والجانب. { يَعْصِمُكُمْ } يمنعكم.

{ ٱلْمُعَوِّقِينَ } المثبطين مشتق من عاقه إذا صرفه. سَبَبُ النّزول: أ - روي أن رجلاً من قريش يُدعى " جميل بن مَعْمر " كان لبيباً حافظاً لما يسمع, فقالت قريش: ما حفظ هذه الأشياء إلا وله قلبان في جوفه فأنزل الله

{ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ.. } الآية.

ب – وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد غزوة تبوك أمر الناس بالتجهز والخروج لها، فقال أناس: نستأذن آباءنا وأمهاتنا فأنزل الله { ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ.. } الآية.

التفسير: { يٰأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ } النداء على سبيل التشريف والتكرمة لأن لفظ النبوة مشعر بالتعظيم والتكريم أي اثبتْ على تقوى الله ودُمْ عليها، قال أبو السعود: في ندائه صلى الله عليه وسلم بعنوان النبوة تنويهٌ بشأنه، وتنبيهٌ على سمو مكانه، والمراد بالتقوى المأمور به الثباتُ عليه والازديادُ منه، فإنَّ له باباً واسعاً ومكاناً عريضاً لا يُنال مداه { وَلاَ تُطِعِ ٱلْكَافِرِينَ وَٱلْمُنَافِقِينَ } أي ولا تطع أهل الكفر والنفاق فيما يدعونك إليه من اللين والتساهل، وعدم التعرض لآلهتهم بسوء، ولا تقبل أقوالهم وإن أظهروا أنها نصيحة، قال المفسرون: دعا المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرفض ذكر آلهتهم بسوء، وأن يقول إن لها شفاعة، فكره صلى الله عليه وسلم ذلك ونزلت الآية { إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً } أي إنه تعالى عالم بأعمال العباد وما يضمرونه في نفوسهم، حكيم في تدبير شؤونهم

{ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ } أي واعمل بما يوحيه إليك ربك من الشرع القويم، والدين الحكيم، واستمسك بالقرآن المنزل عليك { إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً } أي خبيرٌ بأعمالكم لا تخفى عليه خافية من شئونكم، وهو مجازيكم عليها { وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ ٱللَّهِ } أي اعتمد عليه، والجأ في جميع أمورك إليه { وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً } أي حسبك أن يكون الله حافظاً وناصراً لك

ولأصـحابك، ثم ردَّ تعالى مزاعم الجاهليين ببيان الحق السـاطع فقال: { مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ } أي ما خلق الله لأحدٍ من الناس أياً كان قلبين في صـــدره، قال مجاهد: نزلت في رجلٍ من قريش كان يُدعى " ذا القلبين " من دهائـه, وكـان يقول: إنَّ في جوفي قلبين أعقل بكلِ واحدٍ منهما أفضل من عقل محمد

{ وَمَـا جَعَـلَ أَزْوَاجَكُمُ ٱللاَّئِي تُظَـاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَـاتِكُمْ } أي ومـا جعـل زوجاتكم اللواتي تظاهرون منهنَّ أمهاتكم، قال ابن الجوزي: أعلمَ تعالى أن الزوجة لا تكونُ أُماً، وكانت الجاهلية تُطلّق بهذا الكلام وهو أن يقول لها: أنتِ عليَّ كظهر أمي

{ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ } أي وما جعل الأبناء من التبني الذين ليسوا من أصلابكم أبناءً لكم حقيقةً

{ ذٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ } أي دعاؤهم أبناء مجرد قول بالفم لا حقيقة له من الواقع { وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ } أي والله تعـالى يقول الحقَّ الموافق للواقع، والمطابق له من كل الوجوه

{ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ } أي يرشد إلى الصراط المستقيم، والغرضُ من الآية التنبيهُ على بطلان مزاعم الجاهلية، فكما لا يكون للشـــخص الواحد قلبان في جوفه، فكذلك لا يمكن أن تصـــبح الزوجة المظاهر منها أماً، ولا الولد المتبنَّى ابنـاً، لأن الأم الحقيقية هي التي ولدتـه، والابن الحقيقي هو الذي وُلد من صـــلب الرجل، فكيف يجعلون الزوجات المظاهر منهن أمهات؟

وكيف يجعلون أبناء الآخرين أبناءً لهم مع أنهم ليسوا من أصلابهم؟ ثم أمر تعالى بردّ نسب هؤلاء إلى آبائهم فقال:

{ ٱدْعُوهُمْ لآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ } أي انسبوا هؤلاء الذين جعلتموهم لكم أبناء لآبائهم الأصلاء

{ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ } أي هو أعدلُ وأقسط في حكم الله وشرعه قال ابن جرير: أي دعاؤكم إياهم لآبائهم هو أعدل عند الله وأصدقُ وأصوب من دعائكم إياهم لغير آبائهم { فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوۤاْ آبَاءَهُمْ فَإِخوَانُكُمْ فِي ٱلدِّينِ } أي فإن لم تعرفوا آباءهم الأصلاء فتنسبوهم إليهم فهم إخوانكم في الإسلام

{ وَمَوَالِيكُمْ } أي أولياؤكم في الدين، فليقل أحدكم: يا أخي ويا مولاي يقصد أخوَّة الدين وولايته، قال ابن كثير: أمر تعالى بردّ أنساب الأدعياء إلى آبائهم إن عُرفوا، فإن لم يُعرفوا فهم إخوانهم في الدين ومواليهم، عوضاً عما فاتهم من النسب، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة:

"أنت أخونا ومولانا " وقال ابن عمر: ما كنا ندعو " زيد ابن حارثة " إلا زيد بن محمد حتى نزلت { ٱدْعُوهُمْ لآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ }

{ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُمْ بِهِ } أي وليس عليكم أيها المؤمنون ذنبٌ أو إثم فيمن نسبتموهم إلى غير آبائهم خطأً

{ وَلَـٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ } أي ولكنَّ الإثم فيما تقصدتم وتعمدتم نسبته إلى غير أبيه { وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً } أي واسع المغفرة عظيم الرحمة,

يعفو عن المخطئ ويرحم المؤمن التائب، ثم بيَّن تعالى شفقة الرسول صلى الله عليه وسلم على أمته ونصحه لهم فقال: { ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ } أي هو عليه السلام أرأف بهم وأعطف عليهم، وأحقُّ بهم من أنفسهم في كل شيء من أمور الدين والدنيا، وحكمه أنفذ وطاعته أوجب

{ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ } أي وزوجاتُه الطاهرات أمهات المؤمنين في وجوب تعظيمهن واحترامهن، وتحريم نكاحهنَّ قال أبو السعود: أي منزّلات منزلة الأمهات، في التحريم واستحقاق التعظيم، وأما فيما عدا ذلك فهنَّ كالأجنبيات { وَأُوْلُو ٱلأَرْحَامِ } أي أهل القرابات

{ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَاجِرِينَ } أي أحقُّ بالإرث من المهاجرين والأنصار في شرع الله ودينه { إِلاَّ أَن تَفْعَلُوۤاْ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِكُمْ مَّعْرُوفاً } أي إلاّ أن تحسنوا إلى إخوانكم المؤمنين والمهاجرين في حياتكم، أو توصوا إليهم عند الموت فإن ذلك جائز، وبسط اليد بالمعروف مما حثَّ الله عباده عليه قال المفسرون: وهذا نسخٌ لما كان في صدر الإسلام من توارث المسلمين من بعضهم بالأخوة الإيمانية وبالهجرة ونحوها { كَانَ ذَلِكَ فِي ٱلْكِتَابِ مَسْطُوراً } أي كان حكم التوارث بين ذوي الأرحام مكتوباً مسطراً في الكتاب العزيز لا يبدل ولا يُغير، قال قتادة: أي مكتوباً عند الله عز وجل أَلاَّ يرث كافر مسلماً

{ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّيْنَ مِيثَاقَهُمْ } أي اذكر وقت أخذنا من النبيين عهدهم المؤكد باليمين، أن يفوا بما التزموا، وأن يصدِّق بعضهم بعضاً, وأن يؤمنوا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالاتهم { وَمِنْكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ

وَمُوسَــــىٰ وَعِيسَــى ٱبْنِ مَرْيَمَ } أي وأخذنا منك يا محمد الميثاق ومن نوح وإبراهيم وموســى وعيســى، وهؤلاء هم أولو العزم ومشــاهير الرســل، وإنما قدَّمه صـــلى الله عليه وســـلم في الذكر لبيان مزيد شـــرفه وتعظيمه، قال البيضـاوي: خصَّـهم بالذكر لأنهم مشـاهير أرباب الشـرائع، وقدَّم نبينا عليه الصلاة والسلام تعظيماً له وتكريماً لشأنه وقال ابن كثير: بدأ بالخاتم لشرفه صلوات الله عليه، وبياناً لعظم مكانته، ثم رتبهم بحسب وجودهم في الزمان { وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقاً غَلِيظاً } أي وأخذنا من الأنبياء عهداً وثيقاً عظيماً على الوفاء بما التزموا به من تبليغ الرسالة

{ لِّيَسْــأَلَ ٱلصَّـــادِقِينَ عَن صِــدْقِهِمْ } أي ليســأل الله يوم القيامة الأنبياء الصـــادقين عن تبليغهم الرســالة إلى قومهم، قال الصـــاوي: والحكمة في سـؤال الرسـل مع علمه تعالى بصـدقهم هو التقبيح على الكفار يوم القيامة وتبكيتهم وقال القرطبي: وفي الآية تنبيه على أن الأنبياء إذا كانوا يُسـألون يوم القيامة فكيف بمن سـواهم؟ وفائدة سـؤالهم توبيخ الكفار كما قال تعالى لعيسى:

}أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ{ [المائدة: 116]

{ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً } أي وأعد الله للكافرين عذاباً مؤلماً موجعاً، بسـبب كفرهم وإعراضــهم عن قبول الحق، ثم شـرع تعالى في ذكر " غزوة الأحزاب " وما فيها من نِعَمٍ فائضـــــة، وآيات باهرة للمؤمنين فقال: { يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ } أي اذكروا فضله وإنعامه عليكم

{ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ } أي وقت مجيء جنود الأحزاب وتألبهم عليكم، قال أبو السعود: والمراد بالجنود الأحزاب وهم قريش، وغطفان، ويهود قريظة وبني النضير، وكانوا زهاء اثني عشر ألفاً، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلام بإِقبالهم ضرب الخندق على المدينة بإِشارة " سلمان الفارسي " ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب معسكره والخندقُ بينه وبين المشركين، واشتد الخوف وظنَّ المؤمنون كل ظن، ونجم النفاق في المنافقين حتى قال " معتب بن قشير " يعدنا محمد كنوز كسرى وقيصر ولا نقدر أن نذهب إلى الغائط

{ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا } أي فأرسلنا على الأحزاب ريحاً شديدة وجنوداً من الملائكة لم تروهم وكانوا قرابة ألف قال المفسرون: بعث الله عليهم ريحاً عاصفاً وهي ريح الصبا في ليلة شديدة البرد والظلمة، فقلعت بيوتهم، وكفأت قدورهم، وصارت تلقي الرجل على الأرض، وأرسل الله الملائكة فزلزلتهم . ولم تقاتل . بل ألقت في قلوبهم الرعب

{ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً } أي وهو تعالى مطلع على ما تعملون من حفر الخندق، والثبات على معاونة النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت { إِذْ جَآءُوكُمْ مِّن فَوْقِكُمْ } أي حين جاءتكم الأحزاب من فوق الوادي يعني من أعلاه قبل المشرق، ومنه جاءت أسد وغطفان

{ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ } أي ومن أسفل الوادي يعني أدناه قِبل المغرب، ومنه جاء قريش وكنانة وأوباش العرب، والغرضُ أن المشركين جاءوهم من جهة المشرق والمغرب، وأحاطوا بالمسلمين إحاطة السوار بالمعصم، وأعانهم

يهود بني قريظة فنقضوا العهد مع الرسول وانضموا إلى المشركين، فاشتد الخوف، وعظُم البلاء ولهذا قال تعالى

{ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلأَبْصَارُ } أي وحين مالت الأَبصار عن سننها ومستوى نظرها حيرةً وشخوصاً لشدة الهول والرعب

{ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ } أي زالت عن أماكنها من الصدور حتى كادت تبلغ الحناجر، وهذا تمثيلٌ لشدة الرعب والفزع الذي دهاهم، حتى كأن أحدهم قد وصل قلبه إلى حنجرته من شدة ما يلاقي من الهول

{ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَاْ } أي وكنتم في تلك الحالة الشديدة تظنون الظنون المختلفة، قال الحسن البصري: ظن المنافقون أن المسلمين يُستأصلون، وظنَّ المؤمنون أنهم يُنصرون، فالمؤمنون ظنوا خيراً، والمنافقون ظنوا شراً، وقال ابن عطية: كاد المؤمنون يضطربون ويقولون: ما هذا الخُلف للوعد؟ وهذه عبارة عن خواطر خطرت للمؤمنين لا يمكن للبشر دفعها، وأما المنافقون فتعجلوا ونطقوا وقالوا: ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً

{ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ } أي في ذلك الزمان والمكان امتحن المؤمنون واختبروا، ليتميز المخلص الصادق من المنافق قال القرطبي: وكان هذا الابتلاءُ بالخوف والقتال، والجوع والحصر والنزال

{ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالاً شَدِيداً } أي وحرّكوا تحريكاً عنيفاً من شدة ما دهاهم، حتى لكأن الأرض تتزلزل بهم وتضطرب تحت أقدامهم، قال ابن جزي: وأصل الزلزلة شدةُ التحريك وهو هنا عبارة عن اضطراب القلوب وتزعزعها

{ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـافِقُونَ وَٱلَّـذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ } أي واذكر حين يقول المنافقون، والذين في قلوبهم مرض النفاق، لأن الإيمان لم يخالط قلوبهم

{ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُــولُهُ إِلاَّ غُرُوراً } أي وما وعدنا الله ورســوله إلا باطلاً وخداعاً، قال الصـــاوي: والقائل هو " معتب بن قشـــير " الذي قال: يعدنا محمدٌ بفتح فارس والروم، وأحدُنا لا يقدر أن يتبرز فرقاً، ما هذا إلا وعد غرور، يغرنا به محمد

{ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ } أي واذكر حين قالت جماعة من المنافقين وهم: أوس بن قيظي وأتباعه، وأُبيٌّ بن سلول وأشياعه

{ يٰأَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ } أي يا أهل المدينة لا قرار لكم هٰهنا ولا إقامة

{ فَٱرْجِعُواْ } أي فارجعوا إلى منازلكم واتركوا محمداً وأصحابه

{ وَيَسْـتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ } ويسـتأذن جماعة من المنافقين النبي صـلى الله عليه وسلم في الإنصراف متعللين بعلل واهية

{ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ } أي غير حصينة فنخاف عليها العدوَّ والسُّراق

{ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ } تكذيب من الله تعالى لهم أي ليس الأمر كما يزعمون

{ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً } أي ما يريدون بما طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم إلا الهرب من القتال، والفرار من الجهاد، والتعبيرُ بالمضارع

{ وَيَسْتَأْذِنُ } لاستحضـار الصـورة في النفس، فكأن السـامع يبصـرهم الآن وهم يستأذنون، ثم فضحهم تعالى وبيَّن كذبهم ونفاقهم فقال:

{ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا } أي ولو دخل الأعداء على هؤلاء المنافقين من جميع نواحي المدينة وجوانبها

{ ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ لآتَوْهَا } أي ثم طلب إليهم أن يكفروا وأن يقاتلوا المسلمين لأعطوها من أنفسهم { وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلاَّ يَسِيراً } أي لفعلوا ذلك مسرعين، ولم يتأخروا عنه لشدة فسادهم، وذهاب الحق من نفوسهم، فهم لا يحافظون على الإيمان ولا يستمسكون به مع أدنى خوف وفزع، وهذا ذمٌ لهم في غاية الذم

{ وَلَقَدْ كَانُواْ عَاهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لاَ يُوَلُّونَ ٱلأَدْبَارَ } أي ولقد كان هؤلاء المنافقون أعطوا ربهم العهود والمواثيق من قبل غزوة الخندق وبعد بدر ألا يفروا من القتال

{ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْئُولاً } أي وكان هذا العهد منهم جديراً بالوفاء لأنهم سيسألون عنه، وفيه تهديدٌ ووعيد، قال قتادة: لما غاب المنافقون عن بدر، ورأوا ما أعطى الله أهل بدرٍ من الكرامة والنصر، قالوا لئن أشهدنا الله قتالاً لنقاتلن

{ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُمْ مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ } أي قل يا أيها النبي لهؤلاء المنافقين، الذين يفرون من القتال طمعاً في البقاء وحرصاً على الحياة، إن فراركم لن يطوّل أعماركم ولن يؤخر آجالكم، ولن يدفع الموت عنكم أبداً

{ وَإِذاً لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً } أي ولئن هربتم وفررتم فإِذاً لا تمتعون بعده إلا زمناً يسيراً، لأن الموت مآل كل حي، ومن لم يمت بالسيفِ مات بغيره

{ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِّنَ ٱللَّهِ } أي من يستطيع أن يمنعكم منه تعالى { إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوۤءاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً } أي إن قدَّر هلاككم ودماركم، أو قدَّر بقاءكم ونصركم؟ { وَلاَ يَجِدُونَ لَهُمْ مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً } أي وليس لهم من دون الله مجير ولا مغيث، فلا قريب ينفعهم ولا ناصر ينصرهم { قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ } أي لقد علم الله تعالى ما كان من أمر أولئك المنافقين، المثبطين للعزائم، الذين يعّوقون الناس عن الجهاد، ويصدونهم عن القتال { وَٱلْقَآئِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا } أي والذين يقولون لإخوانهم في الكفر والنفاق: تعالوا إلينا واتركوا محمداً وصحبه يهلكوا ولا تقاتلوا معهم، قال تعالى:

{ وَلاَ يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً } أي ولا يحضرون القتال إلا قليلاً منهم رياءً وسمعة، قال الصاوي: لأن شأن من يثبّط غيره عن الحرب ألاّ يفعله إلا قليلاً لغرضٍ خبيث وقال في البحر: المعنى: لا يأتون القتال إلا إتياناً قليلاً، يخرجون مع المؤمنين يوهمونهم أنهم معهم، ولا تراهم يقاتلون إلا شيئاً قليلاً إذا اضطروا إليه، فقتالُهم رياء ليس بحقيقة

{ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ } أي بخلاء عليكم بالمودة والشفقة والنصح لأنهم لا يريدون لكم الخير { فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ } أي فإِذا حضر القتال رأيت أولئك المنافقين في شدة رعب لا مثيل لها، حتى إنهم لتدور أعينهم في أحداقهم كحال المغشي

عليه من معالجة ســـــكرات الموت حَذراً وخَوراً، قال القرطبي: وصــــــفهم بالجبن، وكذا سبيل الجبان ينظر يميناً وشمالاً محدّداً بصره، وربما غُشي عليه من شدة الخوف

{ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَــلَقُوكُمْ بِأَلْسِــنَةٍ حِدَادٍ } أي فإذا ذهب الخوف عنهم وانجلت المعركة آذوكم بالكلام بألسنة سليطة، وبالغوا فيكم طعناً وذماً، قال قتادة: إذا كان وقت قسـمة الغنيمة بسـطوا ألسـنتهم فيكم يقولون: أعطونا أعطونا فإنا قد شـهدنا معكم، ولسـتم أحقَّ بها منا، فأما عند البأس فأجبن قومٍ وأخذلهم للحق، وأمّا عند الغنيمة فأشـح قوم وأبسـطهم لسـاناً { أَشِـحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ } أي خاطبوكم بما خاطبوكم به حال كونهم أشـحة أي بخلاء على المال والغنيمة

{ أوْلَـٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ } أي أولئك الموصوفون بما ذكر من صفات السوء، لم يؤمنوا حقيقةً بقلوبهم وإن أسلموا ظاهراً

{ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَالَهُمْ } أي أبطلها بسبب كفرهم ونفاقهم، لأن الإيمان شرط في قبول الأعمال { وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِـيراً } أي وكان ذلك الإحباط سهلاً هيناً على الله، ثم أخبر تعالى عنهم بما يدل على جبنهم فقال:

{ يَحْسَـبُونَ ٱلأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْ } أي يحسـب المنافقون من شـدة خوفهم وجبنهم أن الأحزاب ـ وهم كفار قريش ومن تحزب معهم ـ بعد انهزامهم لم ينصرفوا عن المدينة وهم قد انصرفوا

{ وَإِن يَأْتِ ٱلأَحْزَابُ يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي ٱلأَعْرَابِ } أي وإن يرجع إليهم الكفار كرة ثانية للقتال يتمنوا لشـــدة جزعهم أن يكونوا في البادية من الأعراب ـ لا في المدينة معكم ـ حذراً من القتل وتربصاً للدوائر { يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَآئِكُمْ } أي يســـألون عن أخباركم وما وقع لكم فيقولون: أهلك المؤمنون؟ أغلب أبو سفيان؟ ليعرفوا حالكم بالاستخبار لا بالمشاهدة { وَلَوْ كَانُواْ فِيكُمْ مَّا قَاتَلُوۤاْ إِلاَّ قَلِيلاً } أي ولو أنهم كانوا بينكم وقت القتال واحتدام المعركة ما قاتلوا معكم إلا قتالاً قليلاً، لجبنهم وذلتهم وحرصـــهم على الحياة.

البَلاَغَة: تضـــمنت الآيات الكريمة وجوهاً من البيان والبديع نوجزها فيما يلي:

1- التنكير لإفادة الاستغراق والشمول { مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ } وإدخال حرف الجر الزائد لتأكيد الاستغراق، وذكر الجوف { فِي جَوْفِهِ } لزيادة التصوير في الإنكار.
2- جناس الاشتقاق { وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً }.
3- الطباق بين { أَخْطَأْتُمْ..و.. تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ } وبين { سُـــوۤءِ..و.. رَحْمَةً } لأن المراد بالسوء الشر، وبالرحمة الخير.
4- التشـــبيه البليغ { وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ } حُذف منه وجه الشـــبه وأداة التشـــبيه فصـــار بليغاً، وأصـــل الكلام وأزواجه مثل أمهاتهم في وجوب الاحترام والتعظيم، والإجلال والتكريم.
5- المجاز بالحذف { أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ } أي أولى بميراث بعض.

6- ذكر الخاص بعد العام للتشـــريف { وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّيْنَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِن نُّوحٍ } فقد دخل هؤلاء المذكورون في جملة النبيين ولكنه خصهم بالذكر تنويهاً بشأنهم وتشريفاً لهم.

7- الاستعارة { مِّيثَاقاً غَلِيظاً } استعار الشيء الحسي ـــ وهو الغلظُ الخاص بالأجسـام ـــــ للشــيء المعنوي وهو بيان حرمة الميثاق وعظمه وثقل حمله.

8- الالتفات { لِّيَسْـــأَلَ ٱلصَّـــادِقِينَ } وغرضـــــه التبكيت والتقبيح للمشركين.

9- الطباق بين { مِّن فَوْقِكُمْ..و.. أَسْفَلَ مِنكُمْ }.

10- 10-التشبيه التمثيلي { تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ } لأن وجه الشبه منتزع من متعدد.

11- المبالغة في التمثيل { وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ } صـــوَّر القلوب في خفقانها واضطرابها كأنها وصلت إلى الحلقوم.

12- الكنـايـة { لاَ يُوَلُّونَ ٱلأَدْبَـارَ } كنـايـة عن الفرار من الزحف.

13-الاستعارة المكنية { سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ } شبَّه اللسان بالسيف المصلت وحذف ذكر المشبه به ورمز له بشـيء من لوازمه وهو السـلق بمعنى الضـرب على طريق الاسـتعارة المكنية، ولفظ { حِـــــــدَادٍ } تـــــرشـــــيـــــح.

-14توافق الفواصـــل في الحرف الأخير مثل { كَانَ ذَلِكَ فِي ٱلْكِتَابِ مَسْـطُوراً.. مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُـولُهُ إِلاَّ غُرُوراً } ونحوه وهو

يزيد في رونق الكلام وجماله، لما له من وقع رائع، وجرْس عذب.

تنبيه: خاطب الله تعالى الأنبياء بأسمائهم فقال }

يٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا]{ هود: 48[،

يٰإِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّؤْيَآ]{ الصافات: 105.104[،

يٰمُوسَىٰ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي

[الأعراف: 144]

ولم يخاطب الرسول إلا بلفظ النبوة والرسالة

}**يٰأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ**]{ الأنفال: 64[،

}**يَـٰأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ**{ [المائدة: 67] الخ ولا نجد في القرآن العظيم كله نداءً له باسـمه، وإنما النداء بلفظ النبوة والرسـالة، وفي هذا تفخيم لشـأنه، وتعظيم لمقامه، وإشـارة إلى أنه سـيد الأولين والآخرين، وإمام الأنبياء والمرسـلين، وتعليم لنا الأدب معه صـلى الله عليه وسـلم، فلا نذكره إلا مع الإجلال والإكرام، ولا نصفه إلا بالوصف الأكمل } **لاَّ تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً**]{ النور: 63[،

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ{ [الحجرات: 3] الآية.

لطيفَة: إن قيل: ما الفائدة بأمر اللهِ رســـوله بالتقوى وهو ســـيد المتقين؟ فالجواب أنه أمرٌ بالثبات والاستدامة على التقوى كقوله

}يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوۤاْ آمِنُواْ [النســـاء: 136] أي اثبتوا على الإيمان وكقول المسلم:

}ٱهْدِنَا ٱلصِّـرَاطَ ٱلْمُسْـتَقِيمَ{ [الفاتحة: 6] وهو مهتد إليه وغرضــه ثبتنا على الصراط المستقيم، أو نقول: الخطاب للرسول والمراد أمته.

* تفسير صفوة التفاسير/ الصابوني (مـ 1930م -) مصنف و مدقق

21

{ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُـولِ ٱللَّهِ أُسْـوَةٌ حَسَـنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيراً } *21{ وَلَمَّـا رَأَى ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلأَحْزَابَ قَالُواْ هَـٰـذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَاناً وَتَسْـلِيماً } * 22{ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَـدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَـىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً } * 23{ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَافِقِينَ إِن شَـآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيمـاً } * 24{ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّـذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَـالُواْ خَيْراً وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً } *25 { وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ مِن صَـيَاصِـيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِـرُونَ فَرِيقاً } *26 { وَأَوْرَثَكُمْ

أَرْضَــهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضــاً لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَـــيْءٍ قَدِيراً } 27* { يٰأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً } 28* {وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُــولَهُ وَٱلدَّارَ ٱلآخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِـنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً } 29* {يٰنِسَــآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَــةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَــاعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِــعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِـيراً } 30* { وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُــولِهِ وَتَعْمَلْ صَـــالِحاً نُّؤْتِهَــــــآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً } 31* { يٰنِسَــآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْــتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَــآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَـــعْنَ بِــٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّــذِي فِي قَلْبِــهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً } 32* { وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَاهِلِيَّـةِ ٱلأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلاَةَ وَآتِينَ ٱلزَّكَـاةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُـــــمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيـــــراً } 33* { وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً } 34* { إِنَّ ٱلْمُسْــــلِمِينَ وَٱلْمُسْــــلِمَاتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ وَٱلْقَانِتِينَ وَٱلْقَانِتَاتِ وَٱلصَّادِقِينَ وَٱلصَّادِقَاتِ وَٱلصَّــابِرِينَ وَٱلصَّــابِرَاتِ وَٱلْخَاشِــعِينَ وَٱلْخَاشِــعَاتِ وَٱلْمُتَصَــدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَــدِّقَاتِ وٱلصَّـــائِمِينَ وٱلصَّـــائِمَاتِ وَٱلْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ

وَٱلْحَافِــظَاتِ وَٱلذَّاكِــرِينَ ٱللَّهَ كَثِيراً وَٱلذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً } 35

المنَاسَبَة: لما ذكر تعالى غزوة الأحزاب، وموقف المنافقين المذبذبين منها، بالقعود عن الجهاد، وتثبيط العزائم، أمر المؤمنين في هذه الآيات بالاقتداء بالرسول الكريم في صبره وثباته، وتضحيته وجهاده، ثم جاء الحديث عن زوجات رسول الله الطاهرات، وأمرهنَّ بالاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في زهده، وعدم التطلع إلى زهرة الدنيا لأنهن قدوة لسائر نساء المؤمنين.

اللغَة: { أُسْوَةٌ } الأسوة: القُدوة وفيها لغتان كسر الهمزة وضمها يقال: ائتسى فلان بفلان أي اقتدى به. { نَحْبَهُ } النَّحب: النذرُ والعهد يقال: نَحَبَ ينحب من باب قَتل نذر، ومن باب ضرب بكى، قال لبيد:

ألا تسْألانِ المرءَ ماذا يُحاول   أنحْبٌ فيُقضى أم ضلال وباطل

ويقال: قضى نحبه إذا مات، وعبَّر به عن الموت لأن كل حي لا بدَّ أن يموت، فكأنه نذر لازم في رقبته فإذا مات فقد قضى نحبه أي نذره. { صَيَاصِيهِمْ } حصونهم جمع صيصية وهو ما يتحصن به، قال الشاعر:

فأصبحت الثيرانُ صَرْعى   وأصبحت نساءُ تميم يبْتدرنَ الصَّياصيا

{ أُمَتِّعْكُنَّ } متعة الطلاق، وأصل المتاع ما يُتبلَّغ به من الزاد، ومنه متعة المطلقة لأنها تنتفع وتتمتع به. { وَأُسَرِّحْكُنَّ } أطلقكنَّ، وأصل التسريح في اللغة: الإرسال والإطلاق. { تَبَرَّجْنَ } تبرجت المرأة: أظهرت زينتها ومحاسنها للأجانب، وأصله من الظهور ومنه سمي البرج لسعته وظهوره. { وَقَرْنَ } إلزمن بيوتكن من قولهم: قررتُ بالمكان أقرُّ به إذا بقيت فيه

ولزمته، والقرار: مصدر، وأصل " قرنْ " اقررن حذفت الراء وألقيت فتحتها على ما قبلها، واستغني عن ألف الوصل لتحرك القاف. { ٱلرِّجْسَ } في اللغة: القذر والنجاسة، وعُبّر به هنا عن الآثام لأن عرض المقترف للقبائح يتلوث بها ويتدنس، كما يتلوث بدنه بالنجاسات.

سَببُ النّزول: أ – أخرج ابن جرير الطبري عن أنس بن مالك قال: غاب عمي " أنس بن النضر " عن قتال يوم بدر، فقال: غبتُ عن أول قتالٍ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ لئن أشهدني الله قتالاً ليرينَّ الله ما أصنع؟ فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون ــ انهزموا ــ فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما فعل هؤلاء ــ يعني المشركين ــ وأعتذر إليك ممَّا صنع هؤلاء – يعني المسلمين – ثم مشى بسيفه فلقيه " سعد بن معاذ " فقال: أي سعد والله إني لأجد ريح الجنة دون أحد! ثم قاتل حتى قتل، فقال سعد يا رسول الله: ما استطعت أن أصنع ما صنع، قال أنس بن مالك: فوجدناه بين القتلى وبه بضع وثمانون جراحة بين ضربةٍ بسيف، أو طعنةٍ برمح، أو رمية بسهم، فما عرفناه حتى جاءت أخته فعرفته ببنانه – رءوس الأصابع ـ قال أنس: فكنا نتحدث أن هذه الآية { مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنتَظِرُ.

{ .نزلت فيه وفي أصحابه.

ب – وروى الإمام أحمد عن جابر رضي الله عنه قال ": **أقبل أبو بكر رضي الله عنه يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ــــ والناسُ ببابه جلوس – فلم يُؤذن له، ثم أقبل عمر رضي الله عنه فاستأذن فلم يُؤذن**

له، ثم أُذن لأبي بكرٍ وعمر فدخلا والنبي صـــلى الله عليه وســـلم جالسٌ وحوله نساؤه وهو ساكت، فقال عمر: لأكلمنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لعله يضحك! فقال يا رسول الله: لو رأيت ابنة زيد ـ امرأة عمر ـ سألتني النفقة آنفاً فوجأت عنقها، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدتْ نواجذه، وقال: " هُنَّ حولي يســألنني النفقة "! فقام أبو بكر إلى عائشــة ليضـربها، وقام عمر إلى حفصــه كلاهما يقولان: تسـألانِ رسـول الله ما ليس عنده؟ فنهاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن: واللهِ لا نسأل رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم بعد هذا المجلس ما ليس عنده، وأنزل الله آية الخيار { يٰأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً } فبدأ بعائشة رضي الله عنها فقال لها: إني أذكر لكِ أمراً ما أحبُّ أن تعجلي فيه حتى تســتأمري أبويك، قالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلا عليها الآية فقالت: أفيك أستأمرُ أبوي؟ بل أختار اللهَ ورســوله والدار الآخرة، وأســألك ألاّ تذكر لامرأة من نســـائك ما اخترت، فقال: إن الله لم يبعثني معنفاً ولكن بعثني معلماً وميسراً، لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها

ج ــ عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم يا نبيَّ الله: ما لي أسمع الرجال يذكرون في القرآن، والنساء لا يُذكرن!؟ فأنزل الله تعالى: { إِنَّ ٱلْمُسْـــلِمِينَ وَٱلْمُسْـــلِمَاتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ.. } الآية.
التفسير: { لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ } أي لقد كان لكم أيها المؤمنون في هذا الرسـول العظيم قدوةٌ حسـنة، تقتدون به صــلى الله عليه وسـلم في إخلاصــه، وجهاده، وصــبره، فهو المثل الأعلى الذي يجب أن

يُقتدى به، في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، لأنه لا ينطق ولا يفعل عن هوى، بل عن وحيٍ وتنزيل، فلذلك وجب عليكم تتبع نهجه، وسلوك طريقه { لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلآخِرَ } أي لمن كان مؤمناً مخلصاً يرجو ثواب الله، ويخاف عقابه { وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيراً } أي وأكثر من ذكر ربه، بلسانه وقلبه قال ابن كثير: أمر تبارك وتعالى الناسَ بالتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم في صبره ومصابرته، ومجاهدته ومرابطته، ولهذا قال للذين تضجروا وتزلزلوا، واضطربوا يوم الأحزاب { لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ } والمعنى: هلاّ اقتديتم به وتأسيتم بشمائله صلى الله عليه وسلم!! ثم حكى تعالى موقف المؤمنين الصادقين في غزوة الأحزاب أثناء رؤيتهم جنود قريش ومن تحزَّب معهم، وما صدر عن المؤمنين من إخلاصٍ ويقين، تُظهر بوضوح روح الإيمان والتضحية فقال { وَلَمَّا رَأَى ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلأَحْزَابَ قَالُواْ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ } أي ولمَّا رأى المؤمنون الكفار قادمين نحوهم، وقد أحاطوا بهم من كل جانب إحاطة السوار بالمعصم، قالوا: هذا ما وعدنا به الله ورسولُه، من المحنة والابتلاء، ثم النصر على الأعداء { وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ } أي صدق الله في وعده، ورسولُه فيما بشرنا به، قال المفسرون:

"لما كان المسلمون يحفرون الخندق اعترضتهم صخرة عظيمة عجزوا عن تكسيرها، فأخبروا الرسول صلى الله عليه وسلم بها فجاء وأخذ المعول وضربها ثلاث ضربات أضاءت له منها مدائن كسرى، وقصور الروم، فقال: أبشروا بالنصر " ، فلما أقبلت جموع المشركين ورأوهم قالوا: { هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ } { وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَاناً

وَتَسْلِيماً } أي وما زادهم ما رأوه من كثرة جند الأحزاب، ومن شدة الضيق والحصار، إلا إيماناً قوياً عميقاً بالله، واستسلاماً وانقياداً لأوامره { مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ } أي ولقد كان من أولئك المؤمنين رجالٌ صادقون، نذروا أنهم إذا أدركوا حرباً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا { فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ } أي فمنهم من وفّى بنذره وعهده حتى استشهد في سبيل الله كأنس بن النضر وحمزة { وَمِنْهُمْ مَّن يَنتَظِرُ } أي ومنهم من ينتظر الشهادة في سبيل الله

{ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً } أي وما غيَّروا عهدهم الذي عاهدوا عليه ربهم أبداً

{ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ } أي ليجزي الله الصادقين بسبب صدقهم وحسن صنيعهم أحسن الجزاء في الآخرة { وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَافِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ } أي ويعذّب المنافقين الناقضين للعهود بأن يُميتهم على النفاق فيعذبهم، أو يتوب عليهم فيرحمهم { إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً } أي واسع المغفرة رحيماً بالعباد، قال ابن كثير: ولما كانت رحمته ورأفته تبارك وتعالى هي الغالبة لغضبه ختم بها الآية الكريمة { وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ } أي وردَّ الله الأحزاب الذين تألبوا على غزو المدينة خائبين خاسرين، مغيظين محنقين، لم يشف صدورهم بنيل ما أرادوا { لَمْ يَنَالُواْ خَيْراً } أي حال كونهم لم ينالوا أيَّ خير لا في الدنيا ولا في الآخرة، بل قد اكتسبوا الآثام في مبارزة الرسول عليه السلام وهمّهم بقتله { وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ } أي كفاهم شرَّ أعدائهم بأن أرسل عليهم الريح والملائكة حتى ولّوا الأدبار منهزمين

{ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً } أي قادراً على الانتقام من أعدائه، عزيزاً غالباً لا يُقهر، ولهذا كان عليه السـلام يقول " :**لا إله إلا الله وحده، نصـر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده"**

{ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ } أي وأنزل اليهود . وهم بنو قريظة . الذين أعانوا المشركين ونقضوا عهدهم وانقلبوا على النبي وأصحابه، أنزلهم من حصونهم وقلاعهم التي كانوا يتحصنون فيها

{ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ } أي ألقى الله في قلوبهم الخوف الشـديد حتى فتحوا الحصون واستسلموا قال ابن جزي: نزلت الآية في يهود " بني قريظة " وذلك أنهم كانوا معاهدين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنقضوا عهده وصـاروا مع قريش، فلما انهزم المشـركون وانصـرفت قريش عن المدينة حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة حتى نزلوا على حكم " سعد بن معاذ " فحكم بأن يُقتل رجالهم، ويُسبى نساءهم وذريتهم فذلك قوله تعالى: { فَرِيقاً تَقْتُلُونَ } يعني الرجال وقتل منهم يومئذٍ ما بين الثمانمائة والتسـعمائة { وَتَأْسِـرُونَ فَرِيقاً } يعني النسـاء والذرية { وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَـهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ } أي وأورثكم يا معشـر المؤمنين أرض بني قريظة وعقارهم وخيلهم ومنازلهم وأموالهم التي تركوها { وَأَرْضـاً لَّمْ تَطَئُوهَا } أي وأرضاً أخرى لم تطؤوها بعدُ بأقدامكم، وهي خيبر لأنها أخذت بعد قريظة، وكل أرض فتحها المسـلمون بعد ذلك { وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَـيْءٍ قَدِيراً } أي قادراً على كل ما أراد، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، قال أبو حيان: ختم تعالى هذه الآية ببيان قدرته على كل شيء، وكأن في ذلك

إشــارة إلى فتحه على المســلمين الفتوح الكثيرة، فكما ملَّكهم هذه الأراضــي فكذلك هو قادر على أن يملّكهم غيرها من البلاد { يٰأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ } أي قل لزوجاتك اللاتي تأذيتَ منهن بسبب سؤالهن إياك الزيادة في النفقة { إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا } أي إن رغبتُنَّ في ســـعة الدنيا ونعيمها، وبهرجها الزائل { فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ } أي فتعالينَ حتى أدفع لكنَّ متعة الطلاق { وَأُسَــرِّحْكُنَّ سَــرَاحاً جَمِيلاً } أي وأطلقكُنَّ طلاقاً من غير ضــرار { وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُــولَهُ وَٱلدَّارَ ٱلآخِرَةَ } أي وإِن كنتُنَّ ترغبن في رضــوان الله ورســوله، والفوز بالنعيم الوافر في الدار الآخرة { فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً } جواب الشرط أي فإِن الله تعالى قد هيأ للمحسنات منكنَّ بمقابلة إحسانهن ثواباً كبيراً لا يوصف، وهو الجنة التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشــر، قال في البحر: لما نصر الله نبيه، وفرَّق عنه الأحزاب، وفتح عليه قريظة والنظير، ظنَّ أزواجه أنه اختصَّ بنفائس اليهود وذخائرهم، فقعدن حوله وقلن يا رسول الله: بناتُ كسرى وقيصر في الحُليّ والحُلَل، ونحن على ما تراه من الفاقة والضيق!! وآلمن قلبه بمطالبتهن له بتوسعة الحال، وأن يعاملهنَّ بما يعامل به الملوك والأكابر أزواجهم، فأمره الله أن يتلو عليهن ما نزل في أمرهنَّ، وأزواجه إذ ذاك تسع زوجات { يٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَـةٍ } أي من تفعل منكن كبيرةً من الكبائر، أو ذنباً تجاوز الحدَّ في القبح، قال ابن عباس: يعني النشوز وسوء الخلق { يُضَـاعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِـعْفَيْنِ } أي يكون جزاؤها ضعف جزاء غيرها من النساء، لأن زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة { وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيراً } أي كان

ذلك العقاب سهلاً يسيراً على الله، لا يمنعه منه كونهنَّ أزواج ونساء النبي صلى الله عليه وسلم، وفي الآية تلوينٌ للخطاب، فبعد أن كانت المخاطبة لهن على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجَّه الخطاب إليهنَّ هنا مباشرةً لإظهار الاعتناء بأمرهن ونصحهن، قال الصَّاوي: وهذه الآيات خطاب من الله لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم إظهاراً لفضلهن، وعظم قدرهن عند الله تعالى، لأن العتاب والتشديد في الخطاب مشعر برفعة رتبتهن، لشدة قربهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأنهن أزواجه في الجنة، فبقدر القرب من رسول الله يكون القرب من الله

{ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ للَّهِ وَرَسُولِهِ } أي ومن تواظب منكنَّ على طاعة الله وطاعة رسوله

{ وَتَعْمَلْ صَالِحاً } أي وتتقرب إلى الله بفعل الخير وعمل الصالحات

{ نُؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ } أي نعطها الثواب مضاعفاً ونثيبها مرتين: مرة على الطاعة والتقوى، وأخرى على طلبهنَّ رضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقناعة وحسن المعاشرة

{ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً } أي وهيأنا لها في الجنة ــ زيادة على ما لها من أجر ــ رزقاً حسناً مرضياً لا ينقطع، ثم أظهر فضيلتهنَّ على النساء فقال: { يٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ } أي أنتن تختلفن عن سائر النساء من جهة أنكنَّ أفضل وأشرف من غيركن، لكونكن زوجات خاتم الرسل، وأفضل الخلق محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم، فليست الواحدة منكنَّ كالواحدة من آحاد النساء { إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ } شرطٌ حذف جوابه لدلالة ما قبله

أي إن اتقيتنَّ اللهَ فـأنتُنَّ بـأعلى المراتـب قـال القرطبي: بيَّن تعـالى أن الفضيلة إنما تتم لهن بشرط التقوى، لما منحهنَّ الله من صحبة رسوله سيد الأولين والآخرين، وقال ابن عباس: يريد في هذه الآية: ليس قدركنَّ عندي مثل قدر غيركن من النساء الصـالحات، أنتُنَّ أكرمُ عليَّ وثوابكنَّ أعظم إن اتقيتُن، فشرط عليهن التقوى بياناً أن فضيلتهن إنما تكون بالتقوى، لا بنفس اتصالهن برسول الله صلى الله عليه وسلم

{ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ } أي فلا ترققن الكلام عند مخاطبة الرجال

{ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ } أي فيطمع مَن كان في قلبه فجور وريبة، وحبٌ لمحادثة النســاء { وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً } أي وقلن قولاً حســناً عفيفاً لا ريبة فيه، ولا لين ولا تكســر عند مخاطبتكنَّ للرجال قال ابن كثير: ومعنى هذا أنها تخاطب الأجانب بكلامٍ ليس فيه ترخيم، ولا تخاطب الأجنبيَّ كما تخاطب زوجها

{ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ } أي الزَمْنَ بيوتكنَّ ولا تخرجن لغير حاجة، ولا تفعلن كما تفعل الغافلات، المتسكعات في الطرقات لغير ضرورة

{ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ ٱلأُولَىٰ } أي لا تظهرن زينتكن ومحاســـنكنَّ للأجانب مثل ما كان نســـاء الجاهلية يفعلن، حيث كانت تخرج المرأة إلى الأسـواق مظهرةً لمحاسـنها، كاشـفة ما لا يليق كشـفه من بدنها قال قتادة: كانت لهن مشـــية فيها تكسُّـــرٌ وتغنج فنهى الله تعالى عن ذلك { وَأَقِمْنَ ٱلصَّلاَةَ وَآتِينَ ٱلزَّكَـــاةَ } أي حافظن على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، قال ابن كثير: نهاهنَّ أولاً عن الشر، ثم أمرهن بالخير، من إقامة الصلاة وهي

عبادة الله وحده، وإيتاء الزكاة وهي الإحســـان إلى المخلوقين {وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُــولَهُ } أي أطعن الله ورســوله في جميع الأوامر والنواهي لتنلن مرتبة المتقيات

{ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُــمُ ٱلرِّجْسَ } أي إنما يريد الله أن يخلصكنَّ من دنس المعاصي، ويطهركنَّ من الآثام، التي يتدنس بها عرض الإنسان كما يتلوث بدنه بالنجاســـات { أَهْلَ ٱلْبَيْتِ } أي يا أهل بيت النبوة { وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيـــــراً } أي ويطهركم من أوضـــار الذنوب والمعاصـــي تطهيراً بليغاً {وَٱذْكُــرْنَ مَا يُتْـلَىٰ فِي بُيُوتِكُــنَّ مِنْ آيَاتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْـمَةِ } أي وأقرأن آيات القرآن، وسنة النبي عليه الصلاة والسلام، فإن فيهما الفلاح والنجاح، قال الزمخشــري: ذكّرهن أن بيوتهن مهابط الوحي، وأمرهنَّ ألا ينســين ما يُتلى فيها من الكتاب الجامع بين أمرين: آيات بينات تدل على صـــدق النبوة، وحكمة وعلوم وشــرائع ســماوية { إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً } أي عالماً بما يصـلح لأمر العباد، خبيراً بمصـالحهم ولذلك شـرع للناس ما يُسـعدهم في دنياهم وآخرتهم، ثم أخبر تعالى أن المرأة والرجل في الجزاء والثواب ســواء فقال: { إِنَّ ٱلْمُسْــلِمِينَ وَٱلْمُسْــلِمَاتِ } هم المتمســكون بأوامر الإســلام المتخلقون بأخلاقه رجالاً ونســاءً { وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ } أي المصــدِّقين بالله وآياته، وما أُنزل على رســـله وأنبيائه { وَٱلْقَانِتِينَ وَٱلْقَانِتَاتِ } أي العابدين الطائعين، المداومين على الطاعة { وَٱلصَّادِقِينَ وَٱلصَّادِقَاتِ } أي الصادقين في إيمانهم، ونياتهم، وأقوالهم، وأعمالهم { وَٱلصَّابِرِينَ وَٱلصَّابِرَاتِ } أي الصـــابرين على الطاعات وعن الشـــهوات في المكره والمنشـــط {وَٱلْخَاشِــعِينَ وَٱلْخَاشِــعَاتِ } أي الخاضــعين الخائفين من الله جل وعلا،

المتواضـــعين له بقلوبهم وجوارحهم { وَٱلْمُتَصَـــدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَـــدِّقَاتِ } أي المتصـدقين بأموالهم على الفقراء، بالإحسـان وأداء الزكوات { وٱلصَّـائِمِينَ وٱلصَّـائِمَاتِ } أي الصـائمين لوجه الله شـهر رمضـان وغيره من الأيام، فالصوم زكاة البدن يزكيه ويطهّره { وَٱلْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَافِـظَاتِ } أي عن المحارم والآثام، وعما لا يحل من الزنى وكشف العورات { وَٱلذَّاكِـرِينَ ٱللَّهَ كَثِيراً وَٱلذَّاكِرَاتِ } أي المديمين ذكر الله بألســنتهم وقلوبهم في كل الأوقات والأمكنة { أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً } أي أعدَّ لهؤلاء المتقين الأبرار، المتصـــفين بالصـــفات الجليلة أعظم الأجر والثواب وهو الجنة، مع تكفير الذنوب بسبب ما فعلوه من الأعمال الحسنة.

البَلاَغَة: تضمنت الآيات وجوهاً من البيان والبديع نوجزها فيما يلي:

1- الإطناب بتكرار الاسم الظاهر { هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ } كرر الإسم الكريم للتشريف والتعظيم.

}وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَـى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِيناً{ 36 } * وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيۤ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيۤ أَزْوَاجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولاً {

37 } *مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُ سُــــنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً{ 38 } *ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِــــيباً{ 39 } * مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰــــكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً { 40 } *يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً { 41 } *وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً { 42 } *هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِّنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً * { 43 }تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَــــلاَمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً { 44 } *يٰأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً { 45 } *وَدَاعِياً إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِــرَاجاً مُّنِيراً* { 46 } وَبَشِّــرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِّنَ ٱللَّهِ فَضْـــــلاً كَبِيراً { 47 } *وَلاَ تُطِعِ ٱلْكَافِرِينَ وَٱلْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّـــــلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِـــــيلاً { 48 } *يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوۤاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّــــوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَــرِّحُوهُنَّ سَــرَاحاً جَمِيلاً { 49 } *يٰأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ ٱللاَّتِيۤ آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاَتِكَ ٱللاَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ

نَفْسَـهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْـتَنكِحَهَا خَالِصَـةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيۤ أَزْوَاجِهِـــــمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـانُهُمْ لِكَيْلاَ يَكُونَ عَلَيْـكَ حَرَجٌ وَكَـانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيمـاً { 50 } *تُرْجِي مَن تَشَــآءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِيۤ إِلَيْكَ مَن تَشَــآءُ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلاَ يَحْزَنَّ وَيَرْضَـــيْنَ بِمَآ آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قلُوبِكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً حَلِيماً { 51 } *لاَّ يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِن بَعْدُ وَلاَ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْـــنُهُنَّ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيباً{ 52

المنَاسَبَة: لما ذكر تعالى صفات المؤمنين وما نالوه من الدرجات الرفيعة، أعقبها ببيان أن طاعة الرسول من طاعة الله، وأمر الرسول من أمر الله، ثم ذكّرهم تعالى بالنعمة العظمى وهي بعثة السراج المنير، المبعوث رحمة للعالمين صلى الله عليه وسلم.

اللغَة: { ٱلْخِيَرَةُ } مصــدر بمعنى الاختيار من تخيَّر على غير قياس مثل الطيرة من تطيَّر { مُبْدِيهِ } أبدى الشــيء: أظهره { وَطَراً } الوطر: الحاجة التي هي في النفس قال الزجاج: الوطر الحاجةُ التي لك فيها هِمَّة فإِذا بلغها الإِنسـان يقال: قضــى وطره، وقال المبرّد: الوطرُ: الشـهوةُ يقال: ما قضيتُ من لقائك وَطَراً أي ما استمتعتُ بك كما تشتهي نفسي وأنشد:

وكيفَ ثَوابي بالمدينةِ بعدما قَضَى وطراً منها جميل بن معمر

{ حَرَجٍ } ضيق وإثم { خَلَوْاْ } مضو وذهبوا { قَدَراً مَّقْدُوراً } قضاءً مقضياً في الأزل { بُكْرَةً } البُكرة: هي أول النهار { أَصِيلاً } الأصيل: آخر النهار { تُرْجِي } تؤخر يقال أرجيتُ الأمر وأرجأته إذا أخرته { تُؤْوِيٓ } تضم ومنه **{ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ }** [يوسف: 69].

سَبَبُ النّزول: عن ابن عباس قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لمولاه " زيد بن حارثة " فاستنكفت منه وكرهت وأبت فنزلت الآية { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ.. } الآية فأذعنت زينب حينئذٍ وتزوجته.. وفي رواية فامتنعت وامتنع أخوها عبد الله لنسبها من قريش فلما نزلت الآية جاء أخوها فقال يا رسول الله مرني بما شئت قال: فزوِّجها من زيد، فرضي وزوَّجها.

التفسير: { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ } أي لا ينبغي ولا يصح ولا يليق بأي واحدٍ من المؤمنين والمؤمنات { إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً } أي إذا أمر الله عز وجل وأمر رسوله بشيءٍ من الأشياء قال الصاوي: ذكرُ اسم الله للتعظيم وللإشارة إلى أن قضاء رسول الله هو قضاء الله لكونه لا ينطق عن الهوى { أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ } أي أن يكون لهم رأيٌ أو اختيار، بل عليهم الانقياد والتسليم، قال ابن كثير: وهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسولُه بشيءٍ فليس لأحدٍ مخالفته، ولا اختيار لأحدٍ ولا رأي ولا قول، ولهذا شدَّد النكير فقال: { وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِيناً } أي ومن يخالف أمر الله وأمر رسوله فقد حاد عن الطريق السوي، وأخطأ طريق الصواب، وضلَّ ضلالاً بيّناً

واضحاً { وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ } أي اذكر أيها الرسول وقت قولك للذي أنعم الله عليه بالهداية للإِســـلام { وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ } بالتحرير من العبودية والإِعتاق، قال المفســرون: هو " زيد بن حارثة " كان من ســبي الجاهلية اشترته " خديجة " ووهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان مملوكاً عنده ثم أعتقه وتبنَّاه، وزوَّجه ابنة عمته " زينب بنت جحش " رضي الله عنها { أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ } أي أمسكْ زوجتك زينب في عصــمتك ولا تطلّقها، واتّقِ الله في أمرها { وَتُخْفِي فِي نَفْسِــكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ } أي وتضمر يا محمد في نفسك ما سيظهره الله وهو إرادة الزواج بها قال في التسهيل: الذي أخفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر جائز مباح لا إثم فيه ولا عتب، ولكنه خاف أن يقول الناس تزوج امرأة ابنه إذ كان قد تبناه، فأخفاه حياءً وحشمة وصيانة لعرضــه من ألسنتهم، فالذي أخفاه صلى الله عليه وسلم هو إرادة تزوجها ليبطل حكم التبني فأبدى الله ذلك بأن قضــى له بتزوجها { وَتَخْشَــى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَــاهُ } أي تهاب أن يقول الناسُ تزوج محمد حليلة ابنه، واللهُ أحقُّ أن تخشـــاه وحده، وأن تجهر بما أوحاه إليك من أنك ستتزوج بها بعد أن يطلقها زيدٌ، قال ابن عباس: خشــي أن يقول المنافقون: تزوج محمد امرأة ابنه { فَلَمَّا قَضَــىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا } أي فلما قضـــى زيدٌ حاجته من نكاحها وطلَّقها زوجناك إياها يا محمد، وهذا نصٌ قاطع صريح على أن الذي أخفاه رسول الله صــلى الله عليه وســلم هو إرادة الزواج بها بعد تطليق زيدٍ لها تنفيذاً لأمر الوحي، لا حبُّه لها كما زعم الأفَّاكون، ومعنى { زَوَّجْنَاكَهَا } جعلناها زوجةً لك، قال المفســرون: إنَّ الذي تولَّى تزويجها هو الله جل وعلا، فلما

انقضت عدتها دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا إذنٍ ولا عقدٍ ولا مهرٍ ولا شهود، وكان ذلك خصوصية للرسول صلى لله عليه وسلم روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

"كانت زينبُ تفخَر على أزواج النبي صلى لله عليه وسلم وتقول: زوَّجكُنَّ أهاليكُنَّ، وزوَّجني ربي من فوقِ سبع سموات " ثم ذكر تعالى الحكمة من هذا الزواج فقال: { لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيۤ أَزْوَاجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَراً } أي لئلا يكون في تشريع الله على المؤمنين ضيق ومشقة وتأثم في حق تزوج مطلقات الأبناء من التبني، إذا لم يبق لأزواجهن حاجة فيهن، قال ابن الجوزي: المعنى زوجناك زينب . وهي امرأة زيد الذي تبنَّيته ــ لكيلا يُظنَّ أن امرأة المتبنَّى لا يحل نكاحها { وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولاً } أي وكان أمر الله لك، ووحيه إليك بتزوج زينب مقدَّراً محتماً كائناً لا محالة، ولما نفى الحرج عن المؤمنين، نفى الحرج عن سيد المرسلين بخصوصه على سبيل التكريم والتشريف فقال: { مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُ } أي لا حرج ولا إثم ولا عتاب على النبي فيما أباح الله له وقسم من الزوجات، قال الضحاك: كان اليهود عابوه بكثرة النكاح، فردَّ الله عليهم بقوله: { سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ } أي هذه سنة الله في جميع الأنبياء السابقين حيث وسَّع عليهم فيما أباح لهم، قال القرطبي: أي سنَّ لمحمد صلى الله عليه وسلم في التوسعة عليه في النكاح، سنة الأنبياء الماضية كداود وسليمان، فكان لداود مائة امرأة ولسليمان ثلاثمائة امرأة، عدا السُّريات { وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً } أي قضاءً مقضياً، وحكماً مقطوعاً به من الأزل، لا يتغيَّر ولا يتبدَّل، ثم أثنى

تعالى على جميع الأنبياء والمرسلين بقوله: { ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ ٱللَّهِ } أي هؤلاء الذين أخبرتك عنهم يا محمد وجعلتُ لك قدوة بهم، هم الذين يبلّغون رسالاتِ الله إلى من أُرسلوا إليه { وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ ٱللَّهَ } أي يخافون الله وحده ولا يخافون أحداً سواه، فاقتد يا محمد بهم { وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيباً } أي يكفي أن يكون الله محاسباً على جميع الأعمال والأفعال، فينبغي أن لا يُخْشى غيره، ثم أبطل تعالى حكم التبني الذي كان شائعاً في الجاهلية فقال: { مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ } قال المفسرون: لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب قال الناس: إن محمداً قد تزوج امرأة ابنه فنزلت هذه الآية قال الزمخشري: أي لم يكن أبا رجلٍ منكم على الحقيقة، حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الأب وولده من حرمة الصهر والنكاح { وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ } أي ولكنّه عليه السلام آخر الأنبياء والمرسلين، ختم الله به الرسالات السماوية، فلا نبيَّ بعده قال ابن عباس: يريد: لو لم أختم به النبيّين لجعلتُ له ولداً يكون بعده نبياً { وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً } أي هو العالم بأقوالكم وأفعالكم، لا تخفى عليه خافية من أحوالكم { يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً } أي اذكروا الله بالتهليل والتحميد، والتمجيد والتقديس ذكراً كثيراً، بالليل والنهار، والسفر والحضر { وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً } أي وسبحوا ربكم في الصباح والمساء قال العلماء: خصهما بالذكر لأنهما أفضل الأوقات بسبب تنزل الملائكة فيهما { هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ } أي هو جل وعلا يرحمكم على الدوام، ويعتني بأمركم، وبكل ما فيه صلاحكم وفلاحكم { وَمَلاَئِكَتُهُ } أي وملائكتُه يصلون عليكم أيضاً بالدعاء والاستغفار وطلب الرحمة قال ابن كثير:

والصلاةُ من الله سبحانه ثناؤه على العبد عند الملائكة، وقيل: الصلاة من الله الرحمةُ، ومن الملائكة: الدعاءُ والاستغفار { لِيُخْرِجَكُمْ مِّنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ } أي لينقذكم من الضلالة إلى الهدى، ومن ظلمات العصيان إلى نور الطاعة والإيمان { وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً } أي واسع الرحمة بالمؤمنين، حيث يقبل القليل من أعمالهم، ويعفوا عن الكثير من ذنوبهم، لإخلاصهم في إيمانهم { تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلاَمٌ } أي تحية هؤلاء المؤمنين يوم يلقون ربهم السلامُ والإكرام في الجنة من الملك العلاّم كقوله تعالى

}**سَلاَمٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ**{ [يس: 58] { وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً } أي وهيأ لهم أجراً حسناً وهو الجنة وما فيها من النعيم المقيم، قال ابن كثير: والمراد بالأجر الكريم الجنةُ وما فيها من المآكل والمشارب، والملابس والمساكن، والملاذّ والمناظر، مما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطر على قلب بشر، ثم لما بيَّن تعالى أنه أخرج المؤمنين من ظلمات الكفر والضلال إلى أنوار الهداية والإيمان، عقَّبه بذكر أوصاف السراج المنير الذي أضاء الله به الأكوان فقال: { يٰأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً } أي شاهداً على أمتك وعلى جميع الأمم بأن أنبيائهم قد بلغوهم رسالة ربهم { وَمُبَشِّراً } أي مبشراً للمؤمنين بجنات النعيم { وَنَذِيراً } أي ومنذراً للكافرين من عذاب الجحيم { وَدَاعِياً إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِ } أي وداعياً للخلق إلى توحيد الله وطاعته وعبادته، بأمره جل وعلا لا من تلقاء نفسك { وَسِرَاجاً مُّنِيراً } أي وأنت يا محمد كالسراح الوهَّاج المضيء للناس، يُهْتدى بك في الدهماء، كما يُهْتدى بالشهاب في الظلماء، قال ابن كثير: أي أنت يا

محمد كالشـــــمس في إشــــراقها وإضـــــاءتها لا يجحدها إلا معاند وقال الزمخشري: شبَّهه بالسراج المنير لأن الله جلى به ظلمات الشركِ، واهتدى به الضـــالون، كما يُجلى ظلامُ الليل بالســـراج المنير ويُهْتدى به، وصـــفه تعالى بخســـــمة أوصـــــاف كلُّها كمالٌ وجمال، وثناءٌ وجلال، وختمها بأنه صـــلوات الله عليه هو الســـراج الوضـــاء الذي بدَّد الله به ظلمات الضـــلال، فصـــلواتُ ربي وســـلامه عليه في كل حين وآن { وَبَشِّـرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِّنَ ٱللَّهِ فَضْـلاً كَبِيراً } أي وبشر يا محمد المؤمنين خاصـة بأنَّ لهم من الله العطاء الواسع الكبير في جنات النعيم { وَلاَ تُطِعِ ٱلْكَافِرِينَ وَٱلْمُنَافِقِينَ } أي لا تطعهم فيما يطلبونه منك من المســـــاهلة والملاينة في أمر الدين، بل اثبـت على مـا أُوحي إليـك { وَدَعْ أَذَاهُمْ } أي ولا تكترث بـإِذايتهم لـك، وصـــدّهم الناسَ عنك { وَتَوَكَّـــــلْ عَلَى ٱللَّهِ } أي واعتمد في جميع أمورك وأحوالك على الله { وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً } أي إن الله يكفي من توكل عليه في أمور الدنيا والآخرة قال الصــــاوي: وفي الآية إشــــارة إلى أن التوكل أمره عظيم، فمن توكل على الله كفاه ما أهمَّه من أمور الدنيا والدين، ولما كان الحديث عن نساء النبي صـلى الله عليه وسلم وقصـة زيد وتطليقه لزينب، جاء الحديث عن نســاء المؤمنين والطريقة المثلى في تطليقهن فقال تعالى { يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوۤاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَاتِ } أي يا أيها المؤمنون الذين صدَّقوا بـالله ورســـــولـه إذا عقدتم عقد الزواج على المؤمنـات وتزوجتموهن { ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ } أي ثم طلقتموهنَّ من قبل أن تجامعوهنَّ، وإنمـا خصَّ المؤمنـات بـالذكر مع أن الكتـابيـات يدخلن في الحكم، للتنبيـه على أن الأليق بالمسلم أن يتخيَّر لنطفته، وألاّ ينكح إلا مؤمنة عفيفة { فَمَا

لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا } أي فليس لكم عليهم حق في العدة تستوفون عددها عليهن، لأنكم لم تعاشـــروهن فليس هناك احتمال للحمل حتى تحتسبوا المرأة من أجل صـيانة نسبكم { فَمَتِّعُوهُنَّ } أي فالواجب عليكم إكرامهن بدفع المتعة بما تطيب نفوســكم به من مالٍ أو كســوةٍ، تطييباً لخاطرهن، وتخفيفاً لشدة وقع الطلاق عليهن { وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً } أي وخلّوا سبيلهنَّ تخليةً بالمعروف، من غير إضرار ولا إيذاء، ولا هضمٍ لحقوقهن، قال أبو حيان: والسراحُ الجميلُ هو كلمة طيبة دون أذى ولا منع واجب، ثم ذكر تعالى ما يتعلق بأحوال زوجات الرســول صـــلى الله عليه وسلم فقال: { يٰأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ ٱللاَّتِيۤ آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ } أي إنا قد أبحنا لك يا محمد أنواعاً من النساء، توسعة عليك وتيسيراً لك في تبليغ الدعوة، فمن ذلك أننا أبحنا لك زوجاتك اللاتي تزوجتهن بصـــداقٍ مُســمَّى، وهُنَّ في عصــمتك { وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ } أي وأبحنا لك أيضاً النساء اللاتي تملكهن في الحرب بطريق الانتصار على الكفار، وإنما قيَّدهن بطريق الغنائم لأنهن أفضلُ من اللائي يُمْلكن بالشراء، فقد بذل في إحرازهنَّ جهدٌ ومشقة لم يكن في الصف الثاني { وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاَتِكَ ٱللاَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ } أي وأبحنا لك قريباتك من بنات الأعمام والعمات، والأخوال والخالات بشــرط الهجرة معك { وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَــهَا لِلنَّبِيِّ } أي وأحللنا لك النســاء المؤمناتِ الصالحات اللواتي وهبن أنفسهن لك، حباً في الله ورسوله وتقرباً لك { إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْــتَنكِحَهَا } أي إن أردت يا محمد أن تتزوج من شئت منهم بدون مهر { خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ } أي خاصة لك يا

محمد من دون ســـائر المؤمنين، فإنه لا يحل لهم التزوج بدون مهر، ولا تصح الهبة، بل يجب مهر المثل { قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيَ أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ } أي قد علمنا ما أوجبنا على المؤمنين من نفقةٍ، ومهر، وشهود في العقد، وعدم تجاوز أربع من النساء، وما أبحنا لهم من ملك اليمين عدا الحرائر، وأما أنت فقد خصصناك بخصائص تيسيراً لك { لِكَيْلاَ يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ } أي لئلا يكون عليك مشقة أو ضيق { وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً } أي عظيم المغفرة واســـع الرحمة { تُرْجِي مَن تَشَـــآءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِيَ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ } أي ولك ـــ أيها النبي ـــ الخيار في أن تطلق من تشاء من زوجاتك، وتُمسك من تشاء منهن { وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ } أي وإذا أحببتَ أن تؤوي إليك امرأة ممن عزلتَ من القســـمة فلا إثم عليك ولا عتب { ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلاَ يَحْزَنَّ وَيَرْضَـيْنَ بِمَآ آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ } أي ذلك التخيير الذي خيرناك في أمرهنَّ أقرب أن ترتاح قلوبهن فلا يحزنَّ، ويرضـــين بصـــنيعك، لأنهن إذا علمن أن هذا أمرٌ من الله، كان أطيب لأنفســـهن فلا يشـــعرن بالحزن والألم { وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قلُوبِكُمْ } خطابٌ للنبي على جهة التعظيم أي يعلم ما في قلبك يا محمد وما في قلب كل إنســـان، من عدل أو ميل، ومن حب أو كراهية، وإنما خيرناك فيهن تيسيراً عليك فيما أردت { وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً حَلِيماً } أي واسع العلم يعلم جميع ما تظهرون وما تخفون، حليماً يضع الأمور في نصابها ولا يعاجل بالعقوبة، بل يُؤخر ويمهل لكنه لا يُهْمل، روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:

"كنتُ أغار من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم وأقول: اتهبُ المرأة نفسها؟ فلما نزلت { تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِيۤ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ } قلت: ما أرى ربك إلاّ يسارع في هواك " ثم قال تعالى { لاَّ يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِن بَعْدُ } أي لا يحل لك أيها النبي النساء من بعد هؤلاء التسع اللاتي في عصمتك { وَلاَ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ } أي ولا يحل لك أن تطلّق واحدة منهن وتنكح مكانها أُخرى { وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ } أي ولو أعجبك جمال غيرهن من النساء { إِلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ } أي إلا ما كان من الجواري والإِماء فلا بأس في ذلك لأنهن لسن زوجات { وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيباً } أي مطلعاً على أعمالكم شاهداً عليها، وفيه تحذير من مجاوزة حدوده، وتخطي حلاله وحرامه. قال المفسرون: أباح الله لرسوله أصنافاً أربعة " الممهورات، المملوكات، المهاجرات، الواهبات أنفسهن " توسعة عليه صلى الله عليه وسلم وتيسيراً له في نشر الرسالة وتبليغ الدعوة، ولما نزلت آية التخيير

{قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا} ..

[الأحزاب: 28] الآية، وخيَّرهن عليه السلام، واخترن الله ورسوله والدار الآخرة، أكرمهن الله تعالى بأن قصره عليهن، وحرَّم عليه أن يتزوج بغيرهن.

البَلاَغَة: تضمنت الآيات الكريمة وجوهاً من البيان والبديع نوجزها فيما يلي:

-1التنكير لإفادة العموم { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ } لأن النكرة في سياق النفي تفيد العموم، أي ليس لواحدٍ منهم أن يريد غير ما أراده الله ورسوله.

-2الطباق بين { تُخْفِي.. مُبْدِيهِ } وبين { ٱلظُّلُمَاتِ..و.. ٱلنُّورِ } وبين { مُبَشِّراً..و.. نَذِيراً } وهو من المحسنات البديعية.

-3جناس الاشتقاق { قَدَراً مَّقْدُوراً }.

-4طباق السلب { وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَداً }.

-5التشبيه البليغ { وَسِرَاجاً مُّنِيراً } أصل التشبيه: أنت يا محمد كالسراج الوضاء في الهداية والإرشاد، حذفت منه أداة التشبيه ووجه الشبه فأصبح بليغاً على حد قولهم: علي أسدٌ، ومحمدٌ قمر.
-6الكناية { مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ } كنَّى عن الجماع بالمسِّ وهي من الكنايات المشهورة، ومن الآداب القرآنية الحميدة لأن القرآن يتحاشى الألفاظ البذيئة.

-7الطباق بين { بُكْرَةً..و.. أَصِيلاً } وبين { تُرْجِي..و.. تُؤْوِيَ } وبين { ٱبْتَغَيْتَ..و.. عَزَلْتَ }.

-8توافق الفواصل ممّا يزيد في الجمال والإيقاع على السمع مثل { وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً.. وَسِرَاجاً مُّنِيراً } ومثل { سَرَاحاً جَمِيلاً.. عَلِيماً حَلِيماً.. غَفُوراً رَّحِيماً } وهذا من خصائق القرآن العظيم، وهو من المحسنات البديعية.

﴿يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَـــــكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنْتَشِـــرُواْ وَلاَ مُسْـــتَأْنِسِـــينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَٱللَّهُ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ ٱلْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَٱسْـــأَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلاَ أَن تَنكِحُوۤاْ أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيماً { 53 } *إِن تُبْدُواْ شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَـــيْءٍ عَلِيماً { 54 } *لاَّ جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيۤ آبَآئِهِنَّ وَلاَ أَبْنَـآئِهِنَّ وَلاَ إِخْوَانِهِنَّ وَلاَ أَبْنَـآءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلاَ أَبْنَـآءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلاَ نِسَـــآئِهِنَّ وَلاَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً { 55 } *إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلاَئِكَـتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً{ 56 } *إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُـــولَهُ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ وَأَعَـدَّ لَهُمْ عَـذَابـاً مُّهِينـاً{ 57 } * وَٱلَّـذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَـــبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً { 58 } *يٰأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ ذٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَـانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيمـاً { 59 } *لَّئِن لَّمْ يَنتَـهِ ٱلْمُنَـافِقُونَ وَٱلَّـذِينَ فِي

قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَـدِينَـةِ لَنُغْرِيَنَّـكَ بِهِمْ ثُمَّ لاَ يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلاَّ قَلِيلاً { 60 } *مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوۤاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلاً { 61 } *سُـنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً { 62 } *يَسْأَلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّـاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً{ 63 } *إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَـعِيراً { 64 } *خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً لاَّ يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً { 65 } *يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّـارِ يَقُولُونَ يٰلَيْتَنَـآ أَطَعْنَـا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَـا ٱلرَّسُـولاَ { 66 } *وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَـادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَـلُّونَا ٱلسَّـبِيلاْ{ 67 } * رَبَّنَآ آتِهِمْ ضِـعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً { 68 } *يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ آذَوْاْ مُوسَـىٰ فَبرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهاً { 69 } *يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً* { 70 } يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُـولَـهُ فَقَـدْ فَـازَ فَوْزاً عَظِيماً{ 71 } * إِنَّا عَرَضْـنَا ٱلأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّـمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْـفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلإِنْسَـانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً{ 72 } * لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـافِقِينَ وَٱلْمُنَـافِقَاتِ وَٱلْمُشْـرِكِينَ وَٱلْمُشْـرِكَاتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ

وَكَـــانَ ٱللَّهُ غَـــفُـــوراً رَّحِـــيـــمـــاً{ 73

المنَاسَـبَة: لمّا ذكر تعالى أحوال النبي صـلى الله عليه وسـلم مع أزواجه، ذكر هنا الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المؤمنون عند دخولهم بيوت النبي صـلى الله عليه وسـلم من الاسـتئذان وعدم الإثقال، ثم بيَّن شـرف الرسـول بصـلاة الله والملائكة عليه، وختم السـورة الكريمة بالحديث عن السـاعة وما يعقبها من أهوالٍ لأهل الكفر والضـلال، وحال الأشـقياء والسعداء في دار البقاء.

اللغَة: { إِنَاهُ } نضـجه قال في اللسـان: إنّى الشـيء بلوغه وإدراكُه والإنى بكسر الهمزة والقصر: النضجُ { مُسْتَأْنِسِينَ }

الاسـتئناس: طلبُ الأنس بالحديث، تقول: اسـتأنسـت بحديثه أي طلبت الأنس والسـرور به، وما بالدار من أنيس أي ليس بها أحد يؤانسـك أو يسـليك { مَتَاعاً } المتاعُ: الغرض والحاجة كالماعون وغيره { بُهْتَاناً } البهتانُ: الافتراء والكذب الواضح، وأصله من البهت وهو القذف بالباطل { جَلاَبِيبِهِنَّ } جمع جلباب وهو الثوب الذي يسـتر جميع البدن وهو يشـبه الملاءة " الملحفة " في زماننا، قال الشاعر:

تمشي النسورُ إليه وهي لاهيةٌ   مشيَ العَذارى عليهنَّ الجلابيب

{ ٱلْمُرْجِفُونَ } جمع مرجف وهو الذي يشـيع الكذب والباطل لإخافة الناس به قال الشاعر:

وإنَّا وإن عيرتمونا بقتله   وأرجف بالإسلام باغٍ وحاسد

{َ نُغْرِيَنَّكَ } أغراه به: حثه وسلّطه عليه. { سَعِيراً } ناراً شديدة الاستعار.

سَبَبُ النّزول: أ – روي عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم لما تزوَّج " زينب بنت جحش " أَوْلَمَ عليها، فدعا الناس فلما طعموا جلس طوائف منهم يتحدثون في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجتُه مولّيةٌ وجهها إلى الحائط، فثقُلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنس: فما أدري أأنا أخبرت النبي صـــلى الله عليه وســـلم أن القوم قد خرجوا أو أخبرني، قال: فانطلق حتى دخل البيتَ فذهبتُ أدخلُ معه فألقى الســـتر بيني وبينه ونزل الحجابُ، ووُعظ الناسُ بما وُعظوا به وأنزل الله { يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَـدْخُـلُـواْ بُـيُـوتَ ٱلـنَّـبِـيِّ إِلاَّ أَن يُـؤْذَنَ لَـكُـمْ.. }.

ب – وقال ابن عباس: كان ناسٌ من المؤمنين يتحيَّنون طعام النبي صلى الله عليه وســـلم فيدخلون قبل أن يُدرك الطعام، ويقعدون إلى أن يُدرك، ثم يـــأكـــلـــون ولا يـــخـــرجـــون فـــنـــزلـــت.

ج – وعن عائشــة أنَّ عمر رضــي الله عنه قال يا رسـول الله: إنَّ نســاءَكَ يدخلُ عليهنَّ البرُّ والفاجرُ، فلو أمرتهنَّ أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب { وَإِذَا سَـــأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَٱسْـــأَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ } الآية.

د – عن السُّدّي أن الفُسَّاق كانوا يؤذون النساء إذا خرجن بالليل، فإذا رأوا المرأة عليها قناع تركوها وقالوا: هذه حرة، وإذا رأوها بغير قناع قالوا: أمةٌ فآذوها فأنزل الله: { يٰأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَـآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ.. } الآية.

التفسِـــير: { يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ } الإضـــافة للتشــريف والتكريم، والآية توجيه للمؤمنين لهذا الأدب الســـامي العظيم والمعنى: لا تدخلوا بيوت النبي في حالٍ من الأحوال إلا في حال

الإذن لكم منه عليه السلام، مراعاةً لحقوق نسائه، وحرصاً على عدم إيذائه والإثقال عليه

{ إِلَىٰ طَعَـامٍ غَيْرَ نَـاظِرِينَ إِنَـاهُ } أي إلاّ حين يـدعوكم إلى طعـام غير منتظرين نُضْجه { و

َلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ } أي ولكنْ إذا دُعيتم وأُذن لكم في الدخول فادخلوا { فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنْتَشِــرُواْ } أي فإذا انتهيتم من الطعام فتفرقوا إلى دوركم ولا تمكثوا { وَ

لاَ مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ } معطوف على

{ غَيْرَ نَاظِرِينَ } أي لا تدخلوا بيوته منتظرين للطعام،

ولا مستأنسين لحديث بعضكم بعضاً قال أبو حيان: نهُوا أن يطيلوا الجلوسَ يستأنس بعضهم ببعض لحديثٍ يحدثه به

{ إِنَّ ذٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ } أي إن صنيعكم هذا يؤذي الرسول، ويضايقه ويثقل عليه، ويمنعه من قضاءِ كثيرٍ من مصالحه وأموره

{ فَيَسْــتَحْيِي مِنكُمْ } أي فيســتحيي من إخراجكم، ويمنعه حياؤه أن يأمركم بالانصراف، لخُلقه الرفيع، وقلبه الرحيم

{ وَٱللَّهُ لاَ يَسْــتَحْيِي مِنَ ٱلْحَقِّ } أي واللهُ جل وعلا لا يترك بيان الحق، ولا يمنعه مانع من إظهار الحق وتبيانه لكم، قال القرطبي: هذا أدبٌ أدَّب الله به الثقلاء، وفي كتاب الثعلبي: حســبك من الثقلاء أن الشــرع لم يحتملهم

{وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَٱسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ } أي وإذا أردتم حاجةً من أزواجه الطاهرات فاطلبوه من وراء حاجزٍ وحجاب

{ ذٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ } أي سـؤالكم إياهنَّ المتاع من وراء حجاب أزكى لقلوبكم وقلوبهن وأطهر، وأنفى للريبة وسوء الظن

{ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تؤْذُواْ رَسُـولَ ٱللَّهِ } أي وما ينبغي لكم ولا يليق بكم أن تؤذوا رسولكم الذي هداكم الله به في حياته

{ وَلاَ أَن تَنكِحُوَاْ أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً } أي ولا أن تتزوجوا زوجاته من بعد وفاته أبداً، لأنهن كالأمهات لكم، وهو كالوالد فهل يليق بكم أن تؤذوه في نفسه أو أهله؟

{ إِنَّ ذٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيماً } أي إن إيذاءه ونكاح أزواجه من بعده أمر عظيم، وذنب كبير لا يغفره الله لكم قال أبو السـعود: وفيه من تعظيمه تعالى لشأن رسوله صلى الله عليه وسلم وإيجاب حرمته حياً وميتاً ما لا يخفى

ثم قال تعالى: { إِن تُبْدُواْ شَـيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ } أي إن تظهروا أمراً من الأمور أو تخفوه في صدوركم

{ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَـيْءٍ عَلِيماً } أي فإن الله عالم به وسـيجازيكم عليه، قال البيضـاوي: وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصـود مزيد تهويلٍ ومبالغة في الوعيد، ثم لما أنزل تعالى الحجاب استثنى المحارم

فقـال: { لاَّ جُنَـاحَ عَلَيْهِنَّ فِيۤ آبَـآئِهِنَّ وَلاَ أَبْنَـآئِهِنَّ وَلاَ إِخْوَانِهِنَّ وَلاَ أَبْنَـآءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلاَ أَبْنَآءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلاَ نِسَــآئِهِنَّ وَلاَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ } أي لا حرج ولا إثم على النساء في ترك الحجاب أمام المحارم من الرجال قال القرطبي: لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ونحنُ أيضاً نكلمهنَّ من وراء حجاب؟ فنزلت هذه الآية، والمراد بـ { نِسَآئِهِنَّ } نسـاءُ المؤمنين، قال ابن عباس: لأن نسـاء اليهود والنصـارى يصـفن لأزواجهن النسـاء المسـلمات، فلا يحل للمسـلمة أن تُبدي شـيئاً منها لئلا تصـــفها لزوجها الكافر { وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ } أي اتَّقين يا معشـــر النســـاء اللهَ، واخشينه في الخلوة والعلانية { إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَـيْءٍ شَـهِيداً } أي لا تخفى عليـه خـافيـة من أموركن، يعلم خطرات القلوب كمـا يعلم حركـات الجوارح، قال الرازي: وهذا في غاية الحسن في هذا الموضـع، لأن ما سبق إشـــارة إلى جواز الخلوة بهم والتكشـــف لهم، فختمها بأن الله شـــاهد عند اختلاء بعضـــــهم ببعض، فالخلوة عنده مثل الجلوة فعليهم أن يتقوا الله، ثم بيَّن تعالى قدر الرسول العظيم

فقال: { إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلاَئِكَــتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ } أي إن الله جل وعلا يرحم نبيَّه، ويعظّم شأنه، ويرفع مقامه، وملائكتُه الأبرار يدعون للنبي ويستغفرون لـه، ويطلبون من الله أن يمجّد عبده ورســـولـه ويُنيله أعلى المراتب، قال القرطبي: والصــــلاةُ من الله رحمتُـه ورضـــوانـه، ومن الملائكـة الدعـاء والاســتغفار، ومن الأمة الدعاءُ والتعظيمُ لأمره وقال الصــاوي: وهذه الآية فيها أعظم الدليل على أنه صـلى الله عليه وسـلم مهبط الرحمات، وأفضـل

الأولين والآخرين على الإطلاق، إذ الصـــــلاة من الله على نبيـه رحمتُـه المقرونة بالتعظيم، ومن اللهِ على غير النبي مطلقُ الرحمة كقوله:

}هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ{ [الأحزاب: 43] فانظر الفرق بين الصـــلاتين، والفضـــل بين المقامين، وبذلك صـــار منبع الرحمات، ومنبعَ التجليات

{ يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ صَـلُّواْ عَلَيْهِ وَسَـلِّمُواْ تَسْـلِيماً } أي فأنتم أيها المؤمنون أكثروا من الصــلاة عليه والتسـليم، فحقه عليكم عظيم، فقد كان المنقذ لكم من الضــلالة إلى الهدى، والمخرج لكم من الظلمات إلى النور، فقولوا كلما ذُكر اسمه الشريف " اللهم صلّ على محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً " عن كعب بن عُجرة قلنا يا رسـول الله: قد عرفنا التسـليم عليك فكيف الصــلاة عليك؟ فقال: " قولوا اللهم صــل على محمد وعلى آل محمد كما صــليت على إبراهيم.. " الحديث قال الصــاوي: وحكمةُ صــلاةِ الملائكةِ والمؤمنين على النبي صلى الله عليه وسلم تشريفُهم بذلك، حيث اقتدوا بالله جل وعلا في الصــــلاة عليـه وتعظيمـه، ومكـافـأةٌ لبعض حقوقـه على الخلق، لأنـه الواسطة العظمى في كل نعمةٍ وصلت لهم، وحقٌ على من وصل له نعمة من شـــخص أن يكافئه، ولما كان الخلق عاجزين عن مكافأته صـــلى الله عليه وسـلم طلبوا من القادر الملك أن يكافئه، وهذا هو السـر في قولهم: " اللهم صـــل على محمد " { إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُـــولَهُ } أي يؤذون الله بالكفر ونسـبة الصـاحبة والولد له، ووصـفه بما لا يليق به جل وعلا كقول

اليهود: }يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ{ [المائدة: 64] وقول النصـارى }ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ{ [التوبة: 30]

- ويؤذون الرسول بالتكذيب برسالته،
- والطعن في شريعته،
- والاستهزاء بدعوته،

قال ابن عباس: نزلت في الذين طعنوا على الرسول صلى الله عليه وسلم حين اتخذ صفية بن حيُي

{ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ } أي طردهم من رحمته، وأحل عليهم سخطه وغضبه في الدنيا بالهوان والصغار، وفي الآخرة بالخلود في عذاب النار {وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً } أي وهيأ لهم عذاباً شديداً، بالغَ الغاية في الإهانة والتحقير { وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ } أي يؤذون أهل الإيمان بغير ما فعلوه، وبغير جنايةٍ واستحقاق للأذى { فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً } أي فقد حمَّلوا أنفسهم البهتان والكذب، والزور، والذنب الواضح الجلي قال القرطبي: أطلق إيذاء الله ورسوله، وقيَّد إيذاء المؤمنين والمؤمنات، لأن إيذاء الله ورسوله لا يكون إلا بغير حق أبداً، وأما إيذاء المؤمنين والمؤمنات فمنه ومنه ولما حرَّم تعالى الإيذاء، أمر نبيه الكريم أن يوجه النداء إلى الأمة جمعاء، للتمسك بالإسلام وتعاليمه الرشيدة، وبالأخص في أمرٍ اجتماعي خطير وهو " الحجاب " الذي يصون للمرأة كرامتها، ويحفظ عليها عفافها، ويحميها من النظرات الجارحة، والكلمات اللاذعة، والنوايا الخبيثة لئلا تتعرض لأذى الفساق فقال { يٰأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل

لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَــآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ } أي قل يا محمد لزوجاتك الطاهرات – أمهات المؤمنين – وبناتك الفضـــليات الكريمات، وسائر نساء المؤمنين، قل لهنَّ يلبسـن الجلباب الواسـع، الذي يستر محاسنهن وزينتهن، ويدفع عنهم ألسنة السوء، ويميزهن عن صفاتِ نســاء الجاهلية، روى الطبري: عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: أمر اللهُ نســـاء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رءوســـهن بالجلابيب ويبدين عيناً واحدة، وروى ابن كثير عن محمد بن ســيرين قال: ســألت عبيدة الســلماني عن قول الله عز وجل { يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ } فغطّى وجهه ورأســه وأبرز عينه اليســرى { ذٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ } أي ذلك التســـتر أقرب بأن يُعْرفن بالعفة والتستر والصيانة، فلا يطمع فيهن أهل السوء والفساد، وقيل: أقرب بأن يُعرفن أنهن حرائر، ويتميزن عن الإماء، { وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً } أي إنه تعالى غفور لما سلف منهن من تفريط، رحيم بالعباد حيث راعى مصالحهم وشــئونهم تلك الجزيئات.. ثم هدَّد المولى جل وعلا كل المؤذين من جميع الأصـــناف بأنواع العقاب فقال: { لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ } أي لئن لم يترك هؤلاء المنافقون . الذين يُظهرون الإيمان ويبطنون الكفر ـــــ نفاقهم، والزناةُ ـــــ الذين في قلوبهم مرض فجور – فجورهم { وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ } أي الذين ينشــــرون الأراجيف والأكاذيب لبلبلة الأفكار، وخلخلة الصـــفوف، ونشــــر أخبار الســـوء { لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ } أي لنسلطنك عليهم يا محمد { ثُمَّ لاَ يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلاَّ قَلِيلاً } أي ثم يخرجون من المدينة فلا يعودون إلى مجاورتك فيها إلا زمناً قليلاً، ريثما يتأهبون

للخروج، قال الرازي: وعد الله نبيه أن يخرج أعداءه من المدينة وينفيهم على يده، إظهاراً لشوكته { مَّلْعُونِينَ } أي مبعدين عن رحمته تعالى { أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلاً } أي أينما وجدوا وأُدركوا أُخذوا على وجه الغلبة والقهر ثم قُتِّلوا لكفرهم بالله تقتيلاً { سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ } أي هذه سنة الله في المنافقين وعادتُه فيمن سبق منهم أن يُفعل بهم ذلك، قال القرطبي: أي سنَّ الله عز وجل فيمن أرجف بالأنبياء وأظهر نفاقه أن يُؤخذ ويُقتل { وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً } أي ولن تتغير أو تتبدل سنة الله، لكونها بُنيت على أساسٍ متين، قال الصاوي: وفي الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم أي فلا تحزن على وجود المنافقين يا محمد، فإِن ذلك سنة قديمة لم يخل منهم زمن من الأزمان ثم ذكر تعالى الساعة وأهوالها فقال: { يَسْأَلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ } أي يسألك يا محمد المشركون على سبيل الاستهزاء والسخرية عن وقت قيام الساعة { قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ } أي قل لهم: لست أعرف وقتها وإِنما يعلم ذلك علاّم الغيوب، فإِن الله أخفاها لحكمة ولم يُطلع عليها مَلكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلاً { وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً } أي وما يُعلمك أن الساعة تكون في وقت قريب؟ قال أبو السعود: وفيه تهديدٌ للمستعجلين، وتبكيتٌ للمتعنّتين، والإِظهارُ في موضع الإِضمار للتهويل وزيادة التقرير { إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَافِرِينَ } أي طرد الكافرين وأبعدهم عن رحمته { وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً } أي وهيأ لهم ناراً شديدة مستعرة { خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً } أي مقيمين في السعير أبد الآبدين { لاَّ يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً } أي لا يجدون لهم من ينجيهم وينقذهم من عذاب الله { يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ } أي يوم تتقلب وجوههم من جهة إلى جهة كاللحم

يُشـــوى بالنار { يَقُولُونَ يٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُــولاَ } أي يقولون متحســـرين على ما فاتهم: يا ليتنا أطعنا الله ورســـوله حتى لا نبتلى بهذا العذاب المهين { وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَـادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَـلُّونَا ٱلسَّـبِيلاْ } أي أطعنا القادة والأشـراف فينا فأضـلونا طريق الهدى والإيمان { رَبَّنَآ آتِهِمْ ضِـعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ } أي اجعل عذابهم ضـعفي عذابنا، لأنهم كانوا سبب ضلالنا { وَٱلْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً } أي والعنهم أشد أنواع اللعن وأعظمه، ثم حذر تعالى من إيذاء الرسـول كما آذى اليهود نبيهم فقال: { يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ آذَوْاْ مُوسَـــىٰ فَبرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ } أي لا تكونوا أمثال بني إســرائيل الذين آذوا نبيهم موســى واتهموه ببرصٍ في جســمه أو أُدْرةٍ لفرط تستره وحيائه، فأظهر الله براءته وأكذبهم فيما اتهموه به، روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"إن موسى كان رجلاً حيياً ستيراً، لا يرى من جلده شيءٌ استحياءً منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يتستر هذا التستر إلا من عيبٍ بجلده، إما برص وإما أدرة ـ انتفاخ الخصية ـ وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموســى، فخلا يوماً وحده فوضــع ثيابه على الحجر ثم اغتســل، فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسـى عصـاه وطلب الحجر فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى مر على ملإٍ من بني إسرائيل فرأوه أحسن ما خلق الله عرياناً، وأبرأه مما يقولون " الحديث { وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهاً } أي وكان موســـى ذا وجاهة ورفعة ومكانة عند ربه، قال ابن كثير: أي له وجاهة وجاه عند ربه، لم يسـأل شـيئاً إلا أعطاه { يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَـدِيداً } أي

راقبوا الله في جميع أقوالكم وأفعالكم، وقولوا قولاً مستقيماً مرضياً لله قال الطبري: أي قولاً قاصداً غير جائر، حقاً غير باطل { يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ } أي يوفقكم لصالح الأعمال ويتقبلها منكم قال ابن عباس: يتقبل حسناتكم { وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ } أي يمحو عنكم الذنوب والأوزار { وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً } أي ومن أطاع الله والرسول فقد نال غاية مطلوبة، ثم لما أرشدهم إلى مكارم الأخلاق، نبّههم على قدر التكاليف الشرعية التي كلّف الله بها البشرية فقال { إِنَّا عَرَضْنَا ٱلأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا } أي عرضنا الفرائض والتكاليف الشرعية على السماواتِ والأرض والجبال الراسيات فأعرضن عن حملها وخفن من ثقلها وشدتها، والغرض تصوير عظم الأمانة وثقل حملها، قال أبو السعود: والمعنى أن تلك الأمانة في عظم الشأن بحيث لو كلفت هاتيك الأجرام العظام ـ التي هي مثل في القوة والشدة ـ وكانت ذات شعور وإدراك على مراعاتها لأبين قبولها وأشفقن منها وقال ابن جزي: الأمانةُ هي التكاليف الشرعية من التزام الطاعات، وترك المعاصي، وقيل: هي الأمانةُ في الأموال، والصحيحُ العموم في التكاليف، وعرضُها يحتمل وجهين أحدهما: أن يكون اللهُ خلق لها إدراكاً فعرضت عليها الأمانة حقيقةً فأشفقت منها وامتنعت من حملها، والثاني: أن يكون المراد تعظيم شأن الأمانة وأنها من الثقل بحيث لو عُرضت على السماوات والأرضِ والجبال، لأبين من حملها وأشفقن منها، فهذا ضربٌ من المجاز كقولك: عرضتُ الحمل العظيم على الدابة فأبتْ أن تحمله، والمراد أنها لا تقدر على حمله { وَحَمَلَهَا ٱلإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً } أي وتحمَّلها الإنسان إنه كان

شـديد الظلم لنفسـه، مبالغاً في الجهل بعواقب الأمور، قال ابن الجوزي: لم يرد بقوله { أَبَيْنَ } المخالفة، وإنما أبين للخشية والمخافة، لأن العَرض كان تخييراً لا إلزاماً { لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَافِقِينَ وَٱلْمُنَافِقَاتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَاتِ } قال ابن كثير: أي إنما حمَّل بني آدم الأمانة وهي التكاليف ليعذب الله المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، والمشركين الذين ظاهرهم وباطنهم على الكفر { وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ } أي ويرحم أهل الإيمان، ويعود عليهم بالتوبة والمغفرة والرضوان { وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً } أي واسع المغفرة للمؤمنين حيث عفا عما سلف منهم، رحيماً بهم حيث أثابهم وأكرمهم بأنواع الكرامات.

البَلاَغَة: تضـــمنت الآيات الكريمة وجوهاً من البيان والبديع نوجزها فيما يلي:

1- الإضافة للتشريف { لاَ تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ } لأنها لما نسب للنبي تشرفت.

2- الطباق بين { ٱدْخُلُواْ..و.. ٱنْتَشِـــرُواْ } وبين { تُبْدُواْ..و.. تُخْفُوهُ } وبين { ثُقِفُوٓاْ..و.. أُخِذُواْ }.

3 طباق السلب { فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَٱللَّهُ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ ٱلْحَقِّ }.

4 ذكر الخاص بعد العام { لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَافِقُونَ.. وَٱلْمُرْجِفُونَ } والمرجفون هم المنافقين، فعمَّم ثم خصَّص زيادة في التقبيح والتشنيع عليهم.

5 ذكر اللفظ بصـــيغة " فعول " و " فعيل " للمبالغة مثل { إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً } { بِكُلِّ شَـيْءٍ عَلِيماً } { عَلَىٰ كُلِّ شَـيْءٍ شَـهِيداً } الخ.

6 الإتيان بالمصـــدر مع الفعل للتأكيد { وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلاً } { وَسَـــلِّمُواْ تَسْلِيماً }.

-7التحسـر والتفجع بطريق التمني { يَقُولُونَ يٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولاَ }

-8التشبيه { لاَ تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ آذَوْاْ مُوسَىٰ } ويسمى التشبيه المرسل المجمل

-9الاستعارة التمثيلية { إِنَّا عَرَضْنَا ٱلأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ } مثَّل للأمانة في ضخامتها وعظمها وتفخيم شأنها بأنها من الثقل بحيث لو عرضـت على السـماوات والأرض والجبال وهي من القوة والشدة بأعلى المنازل لأبت عن حملها وأشفقت منها، وهو تمثيل رائع لتهويل شأن الأمانة.

-10المقابلة اللطيفة بين { لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَافِقِينَ وَٱلْمُنَافِقَاتِ } وبين { وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ } وفي ختم السورة بهذه الآية من البدائع ما يسـميه علماء البديع " رد العجز على الصـدر " لأن بدء السـورة كان في ذم المنافقين، وختامها كان في بيان سـوء عاقبة المنافقين، فحسن الكلام في البدء والختام.

11- الثناء على الرسول { إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ } ورد بهذه الصيغة وفيه دقائق بيانية:

أ – جاء الخبر مؤكداً بـ " إنَّ " اهتماماً به.
ب – وجيء بالجملة إسمية لإفادة الدوام.

ج – وكانت الجملة إسمية في صدرها " إن الله " فعلية في عجزها " يصلون " للإشارة إلى أن هذا الثناء من الله تعالى على رسوله يتجدد وقتاً فوقتاً على الدوام، فتدبر هذا السر الدقيق.
12- مراعاة الفواصل لما له من الوقع الحسن على السمع مثل { أَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً.. لاَّ يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً.. وَٱلْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً } الخ وهو من المحسنات البديعية.

لطيفَة: أشارت الآية الكريمة { قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ } إلى لطيفة وهي أن الدعوة لا تثمر إلا إذا بدأ الداعي بها في نفسه وأهله، وهذا هو السر في البدء بالحجاب الشرعي بنساء الرسول وبناته.

"الردُّ على من أباح كشف الوجه، وطائفة من أقوال المفسرين في وجوب سترة"

1- قال ابن كثير: أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن لحاجة أن يغطين وجوههن من فوق رءوسهن بالجلابيب.

2- وقال ابن الجوزي: في قوله تعالى { يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ } أي يغطين رءوسهن ووجوههن ليُعلم أنهن حرائر.

3-وقال أبو الســعود: ومعنى الآية أي يغطين بها وجوههن وأبدانهن إِذا برزن لداعية من الدواعي.

4-وقال الطبري: أي لا تتشبهن بالإِماء في لباسهن إذا خرجن لحاجتهن فكشفن شعورهن ووجوههن لئلا يعرض لهن فاسق.

7 وقال في البحر: والمراد بقوله: { عَلَيْهِنَّ } أي على وجوههن، لأن الذي كان يبدو منهن في الجاهلية هو الوجه.

8 وقال االجصــاص: وفي الآية دلالة على أن المرأة الشــابة مأمورة بستر وجهها عن الأجانب لئلا يطمع فيها أهل الريب. فهذه جملة من أقوال أئمة التفســير في وجوب ســتر وجه المرأة، والله يقول الحق ويهدي السبيل.

http://www.altafsir.com/Tafasir.asp?tMadhNo=0&tTafsirNo=83&tSoraNo=33&tAyahNo=1&tDisplay=yes&Page=5&Size=1&LanguageId=1

Muhammad Umar Chand